

المقطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٨ محرم سنة ١٣٢٧

زلزلة مسينا

يسندله علماء طبقات الارض على ان اوربا كانت متصلة بافريقية ومحل الاتصال ايطاليا فصيلة فتونس . ثم تمزقت هذه الصلة بفعل بركاني وبقي منها طرف ايطاليا الجنوبي وجزيرة صقلية ورأس بونة في افريقية في الشمال الشرقي من تونس كما ترى في الرسم المقابل . وقد حدث هذا التمزق بانخساف الارض فان حرارة جوفها هناك دفعت بعض ما فيها من المواد فتكوّن مكانها تجاويف كبيرة نفوخت سقوطها لشدة الضغط عليها فهبطت وعلاها الملاء . وهذا الفعل البركاني لا يزال جارياً حتى الآن وهو سبب البراكين التي في ايطاليا وصقلية وسبب انتياب الزلازل لها

ومن اشهر زلازلها القديمة التي وصل اليها وصفها الزلزلة التي حدثت سنة ١٦٣٨ ووصفها الاب كرخر اليسوعي ونشرنا خلاصة وصفها لها منذ احدى وثلاثين سنة في المجلد الثالث من المقطف قال :- "وفي الرابع والعشرين من اذار (مارس) تزلت من مرفأ مسينا في سفينة صغيرة فاصداً مدينة اوفاميا فوصلنا في ذلك اليوم الى راس بلورس حيث بقينا ثلاثة ايام لمضادة الريح لنا ولما مللنا الاقامة اخذنا نحاول السير وكان البحر هائجاً هيجاناً فوق المعتاد حتى وصلنا الى خليج خاربوس فرأيناهُ يدور دورانا عنيفاً . ثم حانت مني التفاتة الى جبل اتنا رأيناهُ يقذف دخاناً كثيفاً حجب الجزيرة عن عيوننا وسمعت له ددمة مهولة وشممت منه الروائح الكبريتية وكان الهواء ساكناً والجو نقياً فانذرت رفاقي بقدم زلزلة شديدة فاسرعنا الى البر ونزلنا عند تريبيا ولم نبغ مدرسة اليسوعيين حتى صمّت آذاننا بصوت كصوت مركبات كثيرة تزدحم بعنف شديد على اراضٍ محجرة ثم تلاه زلزال شديد جداً فمادت

بنا الارض حتى لم اتمالك الوقوف فسقطت غائباً عن الصواب ولما عدت الى نفسي كانت الارض لم نزل تهتز فهرولت طالباً الفرار حتى انيت الشاطئ فوجدت السفينة التي كنت فيها فركبتها وصرنا الى روشنا حيث قصدت منزل المسافرين الا اني رأيت قد اوشك على السقوط فانقلبت الى السفينة وبعد نصف ساعة التفت اليه فاذا به قد دُك الى اسمه هو واكثر ابنية المدينة معه فافلطنا من هناك واتينا الى لوبزيوم على منتصف الطريق بين نربيا واوفايا وكنت كيفما وجهت نظري ارى خراباً نقشعراً منه الابدان وبينما انا اعتبر تلك العبر اذا بزلزلة اقبلت علينا وتعاضمت حتى صار البر يضطرب كاضطراب البحر فلبشنا ربنا هداً قليلاً ثم هرعنا الى السفينة طالبين الهرب والتفتنا الى المدينة فاذا بسحابة مدلهمة قد اكتشفتها ولما انقشعت لم نر لها عيناً ولا اثرأ فابتلعها الارض بين فيها وغادرت مكانها بحيرة كدرة انتهي واصابت صقلية زلزلة اخرى عنيفة سنة ١٦٩٣ هـ غربت اربعا وخمسين مدينة منها عدا القرى والضياح وفي جملتها مدينة قطانيا قسبة ملوك الجزيرة . قال الاب سرويوتا انه رأى سحابة كبيرة اكتشفت المدينة وجبل اتنا يقذف النيران بغزارة والبحر هائجاً شديداً والطيور والحوانات مذعورة والارض تهتز بعنف شديد وبينما هو ينظر الى ذلك مدهوشاً اذا بصوت كالرعد القاصف فاندكت مدينة قطانيا الى الارض وكان فيها ١٨٩٠٠ نفس فلم ينج منهم سوى ٠٩٠٠ وقتل في صقلية كلها بهذه الزلزلة ٩٣٠٠٠ نفس . ولكن لم يذكر المؤرخون ان تلك البلاد اصبحت بزلزلة قتلت من اهلها قدر ما قتلت الزلزلة التي حدثت في اواخر ديسمبر الماضي نعم انه حدثت زلازل في بلدان اخرى قتلت نحو ذلك من السكان كزلزلة انطاكية التي حدثت سنة ٥٢٦ م وقتلت نحو مئتين وخمسين الفاً من اهلها وزلزلة سنة ٨٩٣ التي قتلت نحو ١٨٠٠٠٠ من اهالي الهند وزلزلة سنة ١١٣٨ التي قتلت نحو مئة الف نفس من اهالي ايران وزلزلة سنة ١٧٠٣ التي قتلت نحو ٢٠٠٠٠٠ من اهالي يدوعاصمة اليابان ولكن كلاهما وصقلية لم تصابا بزلزلة فتاكة مثل هذه علي كثرة انقياب الزلازل لها وقد شملت هذه الزلزلة كل البلاد بين مدينة برزوغربي الجانب الضيق من كلاهما الى مدينة رجبو في جنوبها مسافة خمسين ميلاً واصابت في طريقها من المدن مثليون وبالي وبغنا وخرت من مدن صقلية مدينة مسينا وغزي واصابت مدناً اخرى باضرار جسيمة مما يدل علي انه لم يكن لها مركز واحد بل مراكز متعددة كأن الانخساف الذي حدث قرب مسينا اثر في كل الاماكن الضعيفة من قشرة الارض المجاورة فانخسفت معه . وقد كان الانخساف كبيراً جداً فاهتزت له قشرة الارض كلها وماج به البحر موجة هائلة بلغ ارتفاعها

ثلاثين قدماً طفت على ساحلي مضيق مسينا وجرفت ما عليهما ووصل فعلها الى جزيرة مالطة. قال قبطان السفينة هوبول وكانت مارة في ذلك المضيق ان سفينة علت في الجو كأنّ لها أنسف تحتها ثم مرّت موجة كبيرة بلغت سطح السفينة

وقال ضابط من ضباط سفينة الطريد سافو وكانت آتية مسينا بالخبز للجنود انه رأى ماء البحر يرتفع بغتة الساعة الخامسة والدقيقة ٢٠ صباحاً فاهتزّت به السفينة وكل السفن التي في المرفأ واندفع الماء في موجة كبيرة الى رصيف المرفأ وكسّر أكثر السفن التي فيه ولم يكن الا دقيقة حتى انتشرت الكسر على وجه الماء وانتشر معها شحن السفن وصناديق زيت البنزول والاثمار وغطّت مدينة مسينا محابة كثيفة من الغبار. ثم انضح بعد ذلك ان أكثر المدينة صار كوماً من الانقراض وارتقت منها السنة النيران وركام الدخان

وقال قبطان جولة روسية كانت هناك ان الهزة الكبرى دامت ٣٧ ثانية وتبعها اربع موجات واستمرت الهزات الصغيرة بعد ذلك. ووصلت الموجة الكبرى الى مدينة رجيو وعلت فيها عشرة امتار فوق سطح البحر فامتلاّت بها الطبقة السفلى من البيوت التي قرب البحر وتخربت كل محطات سكة الحديد وكان رجل في قارب ذاهباً من مسينا الى رجيو فرأى القارب قد غاص به الى قاع البحر ثم ارتفع اثنتين وثلاثين قدماً وقذفته الموجة الى البر وكسّرتة تكسيراً وقال واحد من الذين كانوا في مسينا انه رأى الارض تقذف بالحجارة الى ابعاد شاسعة وقال كل الذين نجوا من الموت انهم سمعوا اصواتاً كالزئير من جوف الارض حال حدوث الهزة الاولى ودامت هذه الاصوات مدة الهزات التالية

ونجا الاستاذ رزو مدير مرصد مسينا وقال انه لم يكن فعل موجة البحر شديداً في مسينا كما كان في رجيو لان البحر ماج من جهة صقلية الى جهة كبريا وان الارض خسفت قرب المجلس البلدي نحو عشرة امتار

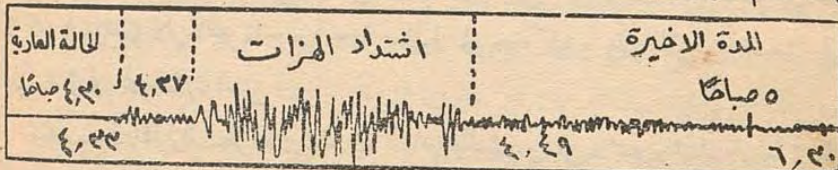
ونقدّم هذه الزلزلة مطر غزير وقع في السابع والعشرين من ديسمبر واشتدّ وقوعه في الليل وفي الساعة الخامسة والدقيقة ١٥ من صباح الثامن والعشرين شعر اهالي مسينا بثلاث هزات ووقع مطر قليل في النهار ولكن كثير وقوعه في الليل التالي واشتدّ عصف الريح وكان البرد شديداً في شمالي روسيا فزال حالاً بعد الزلزلة

والظاهر ان فعل الزلزلة كان في رجيو اشد منه في مسينا فخربت بها المدينة وتشققت ارضها ولم تبق قرية قائمة من القرى المجاورة لها على شاطئ البحر. وكان أكثر فعل الزلزلة في الاماكن المنخفضة في رجيو ومسينا اما الاماكن المرتفعة فبقي بعض مبانيها قائماً وكذلك

البيوت القليلة الارتفاع قاومت فعل الزلزلة اكثر من غيرها وسمعت على مثلها اذا جدد بناء المدينة وهذه الزلزلة ليست من اقوى الزلازل وان كانت من اشدها فتكاً بالنفوس فاذا حدثت زلزلة اقوى منها في صحراء افريقية او مهول سيبريا او في عرض البحر الواسع فقد لا يُقتل بها احد ولا يشعر بها الا آلات رصد الزلازل واذا حدثت زلزلة اضعف منها في مدينة مزدحمة بالسكان كلندن او باريس او نيويورك فقد يقتل بها اكثر مما يقتل في مسينا ورجيو وما جاورها من المدن والقرى

وقد ظهر بالمراقبة منذ عشر سنوات الى الآن ان الزلازل تكثر في عشر بقاع من بقاع الارض البقعة الاولى تشمل بلاد يابان وما جاورها شرقاً والثانية جزائر الهند الشرقية وما يجاورها من استراليا وملقا والثالثة الجهات الجنوبية من زيلندا الجديدة والرابعة الطرف الجنوبي من الهند الى شرقي جزيرة مدغسكر والخامسة تمتد من غربي الصين شرقاً الى سويسرا غرباً ومن اواسط روسيا شمالاً الى خليج العجم جنوباً فتشمل بلاد ايران وبلاد الدولة العلية الى حد مصر وما حول البحر الاسود وبحر قزوين وبلاد اليونان وايطاليا والنمسا . والسادسة تشمل جزائر ازورس وما حولها والسابعة بين زيلندا ونروج . والثامنة في الاوقيانوس الاتلنטיكي شرقي الولايات المتحدة والتاسعة بين اميركا الشمالية والجنوبية . والعاشر في غربي اميركا الجنوبية . والحادية عشرة في غربي بلاد المكسيك والولايات المتحدة . والثانية عشرة في غربي الاسكا من اميركا الشمالية . والظاهر ان افريقية خالية من الزلازل الآن

والناظر الى هذه البقاع كلها يرى انها في البحر او قريبة منه او من الجبال الشاخطة بما يدل على ان لعدم التوازن في الضغط ولما البحر الذي يتخلل طبقات الارض شأناً في حدوث الزلازل



وقد سجلت آلة رصد الزلازل في مرصد سنت مور بباريس زلزلة مسينا صباح الثامن والعشرين من ديسمبر الماضي بين الساعة الرابعة ونصف والساعة السادسة ونصف فدام فعلاً ساعتين وكان اشده في ١٦ دقيقة كما ترى في الرسم المتقدم

ويظهر من تقرير الاستاذ ركو ان تخريب الزلزلة للباني انتشر اربعين ميلاً من كاستروريل في صقلية الى بلبي في كلبريا . وفعلاً بالباني امتد ٨٦ ميلاً من ريسثو وبني في صقلية الى بزوي في كلبريا والشعور بها شديدة امتد ١٨٦ ميلاً من مسترنا ونوتو في صقلية

الى كوسنزا في كلبريا . وشعروا بها ايضا في مرسيليا ونابلي . وشعرت بها آلات الرصد في اماكن شتى حتى في غربي استراليا ودونت آلة الرصد في مرصد ميلنو بكلبريا ٢٨ هزة قبلما تجزأت . وتواتت الزلازل بعد ذلك في ايطاليا وغيرها ولا تزال تتوالى وتثار بركان سترمبولي في الثالث من يناير

وكان عدد سكان مسينا قبل الزلزلة نحو ١٥٠ ألفا وعدد سكان ريجيو ٤٤ ألفا والمظنون انه قُتل أكثر سكانهما وسكان القرى المجاورة لها . ولذلك قُدِّرَ المقدرون عدد القتلى بأكثر من مئة ألف نفس وزاده بعضهم حتى ابلغه مئتي ألف ولا تعلم الحقيقة حتى الآن

ثمار الدستور

لقد كان من اول ثمار الدستور العثماني الجواب الذي ردَّ به مجلس المبعوثان على النطق السلطاني فأيد به حقوق الأمة العثمانية واستعدادها لتولي شؤونها مثل غيرها من الامم الدستورية . وما نحن موردون بعض ما جاء فيه نقلاً عن ترجمته في المقدم

” ان والدكم وضع بفرمان الكخانة السلطاني بعض اساسات شرعية مهمة تأمیناً للحقوق الشخصية وتأييداً للمساواة بين جميع المذاهب والعناصر المختلفة فانال بها الدولة العثمانية حياة جديدة مطابقة لما يقتضيه العصر

ولما كان من اللازم ضمان الحقوق الشخصية وتقويتها على وجه اتمن واثبت واشمل وكان من الواجب لذلك ابدال شكل الحكومة السابق وقبول الاصول الدستورية المبنية على مبدأ كون الحكم للأمة اصدرتم حين جلوسكم امراً بوضع القانون الاساسي ونشره ونفج مجلس المبعوثان اتباعاً لذلك اللزوم والوجوب وتوفيقاً لرغائب اعيان الأمة الذين كانوا في ذلك الزمان خلاصة الرأي العام

ولا يخفى ان طريق المشاورة والدستور هو اصل في الحكومة وان صور الحكومة المتنافية لهذا الاصل الشرعي والمغايرة لشكل الدستور المعروف منكرة في كل زمان لانها عبارة عن تغلب القوة على الحق والظلم على العدل . ولقد عرفتم جلالكم وصرحتكم في امركم السلطاني بظهور كفاءة الأمة واستعدادها في ذلك الزمان وبأن القانون الاساسي قد وضع على وجه مطابق لتلك الكفاءة وذلك الاستعداد

غير ان ما احداثه بعض رجال الحكومة من المشاكل جعل مستقبل سعادة امة عظيمة

ينقلب من الشيء الى ضده فانحلّ مجلس المبعوثان على صورة غير موافقة للقانون الاساسي بوجه من الوجوه

ثم ان الذين احدثوا تلك المشاكل الوهمية وخذعوا ذاتكم السلطانية لم يكتفوا بتجاوزهم احكام القانون الاساسي الذي هو قوام حرية الامة وسعادتها بل ادعوا ان الامة غير مفحدة رأياً وطلبوا تأخير العمل بالقانون المذكور مستحقين بمدارك الامة

ونحمد الله على ان جلالكم تحققت في هذه النبوة الخطر الجسيم الذي لم بعد يخفى الا على عيون رؤساء الحكومة وعرفتم السعادة العظمى التي سنعم بها الدولة والمملكة في الحاضر والمستقبل من تحقيق الآمال العمومية فاصدرتم امركم السلطاني بتجديد انتخاب المبعوثان ودعوتهم للاجتماع توفيقاً لاحكام القانون الاساسي ٠٠٠٠ ولوان جلالكم على افتداركم سعيتكم في ماضي الزمن للتغلب على تمويهاات اصحاب الاغراض لحل العمران في هذه الثلاثين سنة محل الخراب والتقدم محل التأخر في كل اقطار المملكة ولما فتحت جروح كثيرة في قلوب الامة لمنفعة شريفة قليلة استفادت وحدها من الاستبداد ولادرك الوطن رفاهيته وسعادته من كل وجه ولا حرزت الدولة العثمانية المنزلة التي تستحقها بين الدول

ثم اشار المجلس الى اعلان امارة البلغار استقلالها واعلان دولة النمسا انها ضمت اليها البوسنة والمهرسك وامل ان وكلاء الدولة (اي مجلس النظار) يحلون هاتين المشكلتين بالحكمة حلاً حسناً بصدق مساعدة الدول العظيمة الواثقة بحسن نيات المجلس وامواله السليمة واستطرد الى مالية الدولة فقال

”وسيتهد مجلسنا في تنظيم مالية الدولة التي هي من اول الامور الداخلية المهمة ولا يسع البتة بان يخرج بارة واحدة من جيب الامة ولا بان يصرف درهم من خزانة الدولة على غير ما هو مقرر في الميزانية العثمانية وسيجعل للايرادات العمومية محافظاً صادقاً ومصاريف الدولة مفتشاً غيوراً يقظان على انه وان كان الوصول الى توازن الايرادات والمصروفات عسراً جداً لما كان من الاسراف والتبذير اللذين تواليا منذ اعوام طويلة تواليها فلما سبق له نظير في التاريخ المالي فيجن لا ندّخر وصعاً في التمسك بكل التدابير اللازمة

وعلى كل حال فان حصر مصروفاتنا في الوجوه الشرعية فقط سيزيد اعتبارنا وبه نبرهن دولتنا للامم على انها ليست دولة مسرفة بل دولة مقتصدة تدبر اموالها طبقاً للقواعد المالية ثم اننا استكمالاً لرفاهية كل ابناء المملكة من كل المذاهب والعناصر المختلفة نوجه عنايتنا الى توطيد دعائم الامن والسلام . ونشر العدل . وصيانة حقوق الجميع . وتأمين اجراء

القضاء بكمال الاستقلال . وتربية اولاد الامة تربية سياسية حرة وطنية على وتيرة واحدة في المكاتب العمومية وتكثير واصلاح المكاتب والمدارس وكل نوع من المعاهد العلمية والفنية التي ستم في اقطار المملكة . وزيادة الطرق والسكك ووسائل النقل لايجاد منافذ جديدة خارجية وداخلية لمخاض المملكة . وانماء الحرف والصنائع وتوسيع نطاق التجارة . وسنعتي على الخصوص بتربية الزراعة

وبما ان الامة العثمانية المحبة للصلح والسلم مضطرة ان تكون دائماً دولة قوية لا لتتعدى على حقوق غيرها بل لتحفظ مصالحها الوطنية الشرعية وتدافع عنها فيجب اذا ان نجتهد في تنظيم قوانا البرية والبحرية واكملها على ما يوافق موقعنا الجغرافي لانها هي الكافلة لصيانة وطننا وحكومتنا الدستورية

وعلى هذا فاننا سندقق النظر في اللوائح والقوانين التي ستضعها الحكومة او التي يرى المجلس لزوماً لها ونجتهد في سن قوانين موافقة لحاجات الوطن ولاتقة باعتبار الامة العثمانية وحسن قبولها

وعلى كل حال اننا نشكر جلالكم على عزمكم الثابت الذي لا يتغير على ادارة مملكتنا حسب القانون الاسامي الضامن الحقيقي للتوفيق والنجاح في جميع آمالنا الجليلة

ونحن نحسب انفسنا سعداء ايضاً بان نعرض لجلالتكم ان عزم الامة العثمانية عموماً في هذا الشأن وطيد ثابت على دعائم لا تزعزعها قوة مهما كانت عظيمة ونظهر لكم عظيم الافتخار والسرور الذي شعرنا به عند مشاهدتكم امامنا في يوم افتتاح مجلسنا الذي هو عنوان حكم الامة فدلّت تلك المشاهدة دلالة صريحة على زوال الحوائل والموانع التي كانت بين الحاكم والامة واخيراً نقول ان قلوبنا لا تفيض الا بحمّة الامة والوطن . وان جميع ما نؤمله هو القيام

بأعمال خيرية للدولة وللامة ومرشدنا هو مصباح المساواة والاتحاد . وغايتنا الحق والعدل ولا نتذكر اننا قرأنا مجلس من مجالس النواب كلاماً اصرح من هذا الكلام في تأييد حقوق الامة واستعدادها للاحتفاظ بها مهما تقلبت الاحوال

ومن ثمار الدستور ايضاً ان جلالة السلطان اولم وليمة فاخرة لنواب الامة في قصره حضرها اكثرهم وجلس هو في صدر المائدة والى يمينه كامل باشا الصدر الاعظم والى يساره احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان . ولما انتهوا الى تناول الحلوى وقف جواد بك باشا كاتب الماين وقرأ النطق السلطاني التالي

” يا حضرات النواب

زادكم الله سبحانه غبطة وسعادة انني في الحقيقة ممنون جداً هذه الليلة اذ جمعت هذه
المأدبة وكلاء اممي العثمانية وتبعي الشاهانية واعني انها جمعت كل رعيي في هذا المساء وهذه
الحادثة الميمونة حدثت لأول مرة على ما اظن في تاريخ دولتي العلية . فابارك لكم واسأل
الله ان يكرر امثالها عليكم . والفضل في هذا الاجتماع السعيد لقانون دولتنا الاساسي ادامه
الله الى الابد فانض النور وادام مبداءه الجديد بالتبجيل

تعملون حضراتكم ان اول حارس للحقوق في السلطنة والمملكة والدولة الشوروية هو الله
ثم الامة ثم مجلس المبعوثان وبناء على ذلك فان وظيفتكم مهمة ومقدسة ايضاً فسيحكم وغيبركم
وقصدكم ونيتكم التي لها هذه الاهمية وهذه المزية العظيمة هي مطويعي قطعياً . فاحكام القانون
الاساسي ضامنة لهذه الحقوق المقدسة وكافة لها بعناية الله تعالى . وكل رجل يخالف ذلك
يكون اعدى اعدو لي واشد خصم للخليفة فيكوني سلطاناً وخليفة او كد لكم واؤمنكم كل التأمين
فليعنا الله تعالى في غيرتنا وسعيننا الى سعادة وسلامة دولتنا وملتنا ووطننا المقدس . انتهى
وهذا النطق السلطاني من اصرح الاقوال الدالة على تأييد حقوق الامة وجري سلطانها
على موجب دستورها

وقبلما انتهى الشهر عرضت دولة النمسا على الدولة العلية مليونين ونصف مليون من
الديران العثمانية تعويضاً عما لها في البوسنة والمهرسك فقبلت الدولة العلية منها ذلك وافندت
بها اماره البلغار ولكنها لم تعرض حتى الآن المبلغ الذي ترضي به الدولة العلية . وعرض
كامل باشا على مجلس المبعوثان تصريحاً وافياً بسياسة الوزارة الداخلية والخارجية فصادق
المجلس عليه والفت لجنة لتنقيح القانون الاساسي حتى يصير السلطة كلها في يد مجلس المبعوثان
فاقترحت اللجنة تنقيح المادة السابعة حتى لا يصدر السلطان ارادة سنية الا وتذكر
فيها المادة التي بنيت عليها في القانون وبوقعها الناظر المختصة بنظاريته . وتنقيح المادة السابعة
والعشرين حتى يصير تعيين النظر منوطاً بالصدر الاعظم . وتنقيح المادة الثالثة والاربعين
حتى لا يفض مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان الا متى انتهت المدة المعينة لاجتماعها او اذا
قرّر قرار مجلس الوكلاء على ذلك . وتعديل المادة ٧٢ حتى يحق للاهالي ان ينتخبوا ايأاً كان من
اهالي الممالك العثمانية ولو لم يكن من دائرتهم . وتعديل المادة ١١٢ تعديلاً يبطل سلطة
الحضرة السلطانية في نفي انسان من الممالك المحروسة . وفي كل ذلك ما يؤيد حقوق الامة
وحريّة نوابها وجعل السلطة في يدهم

مقدمة الطبعة الثانية

لشرح مختصر على دارون

(تابع ما قبله)

فالعلوم الطبيعية هي المَعول الوحيد الذي يزعم اركان تلك العلوم ويهدم بنيانها بل هي الخلل الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظمات المتقلبة والشرائع الخائفة التي هي سبب كل ما نراه من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن فيه . فالشرائع التي تسوس الاجتماع حتى اليوم والمبنية على تلك العلوم شرائع استبدادية لا تنطبق على نواميس الاجتماع الطبيعي التي لا يصلح الاجتماع الا بها . وسواء كانت الهية او بشرية فالفارق فيها بين اعضاء المجتمع البشري في حقوقهم وواجباتهم عظيم جداً . ولا يغرنك ما فيها من الاصول المنطقية في ظاهرها على العقل والعدل فالعبرة انما هي في تطبيقها على العمل والممسك بغير حبل أربانا لا بد من ان يضل في تيه هذا الكون وهذا الحبل ليس الا الطبيعة نفسها ونواميسها . فبالشرائع الثيوقراطية يرفع الرؤساء عامة عن الشعب ويستأثرون بامتيازات يحملون بها واجبات هذا الشعب كثيرة جداً الى حد الاستمانة بالتقشف وحقوقه معهم قليلة الى حد الاستهانة بنفسه . وبالسلطة الروحية التي لم عليه يسطون على عقله وعواطفه فيقيمون عليه من مخاوف او هامه ضاغطة يجعله يقتنع بانه لا يجوز له ان يكون في غير الحالة التي هو فيها . وبالشرائع الاوتوقراطية الاستبدادية البشرية يهرب الملوك هذا الشعب حتى تموت نفسه ويخيم الجهل عليه فيسلبونه حقوقه . ولا فرق بين عالم وجاهل في هذا الذل وموت النفس فكلاهما شرع في التبذل هذا يزحف يبطئه على الارض حتى يعفر جبينه بالتراب وذلك ينزل بقرينه فيذلها الى مواطىء الاقدام تزلقا الى ملوك السيف وملوك المال ولو انك تأبى عليهم ان ترمقهم شزراً لو جر دنتهم من ذلك كله . فنضحي المصلحة العامة على مذبح الافراد ويموت الفكر لدى مظاهر القوة الفاصبة والمجد الفارغ حتى يصير الملوك آلهة جبارة يسلبون ويفتكون ولا وازع لهم من شرائعهم والشعوب عبيداً ارقاء لا يستهونهم الا رضى ظالمهم وحتى يصير المجد كل المجد لدى اطفال الرجال الالتفاف حولهم لنيل رتبة يلبسون لها ثوباً مزركشاً يبرزون به في زيتي يضحك حتى ارباب المساخروا للحصول على وسام يعلقونه على صدورهم ويتهيجون به كما يتهيج صغار الاطفال بلعبيهم فيموت الفخر بالافكار النبيلة والاعمال الجليلة مجردة عن سفاسف هذه الزخارف

ويلحق بهذا النظام عيب آخر يجعل الشرائع اشد ضرراً على المجتمع من ضرر الاستبداد نفسه وهو وجودها من طبيعتها تارة ولا استمساك اصحاب السلطة بها اخرى . فلا يسهل تغييرها طبقاً لاحتياجات الاجتماع بحسب الزمان والمكان خلافاً لناموس الاجتماع الطبيعي الذي هو في طبيعته خاضع لناموس التحول العام . ولا تتغير فيه الا بشق الانفس لشدة بواعث الضغط المتجمعة فيه على مدى الزمان فتتفجر به انفجاءً هائلاً تبعاً لناموس تجمع القوى الطبيعي الذي تحدث به النكبات الطبيعية في الارض كالزلازل ونحوها . ولذلك كان انتقال الانسان بشرائعه ونظاماته في التاريخ مصحوباً دائماً بشورات تجري الدماء فيها انهاراً كثيراً ما نرجع بالاجتماع القهقري او نقف به عصوراً متطاولة

ولا ينكر ان في اصول هذه الشرائع ما نراعى فيه مصلحة الاجتماع بل مصلحة كل فرد فيه وانما صبغها احياناً كثيرة بما يلبسها حلة الجمود وعدم معرفة تطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي لجهل نواميسه يفقدانها مزاياها الحسنة وهذا هو سبب قيام المصلحين من وقت الى آخر على اختلاف نزعاتهم بغض النظر عن مطامعهم الخاصة لمقاومة هذه الشرائع تارة بالعنف وتارة باللين وكان السيف فيها دائماً اصدق انباء من سواه . ولهذا السبب عينه كان مصلح الامس يبدو ورزءاً كبيراً على مصلح الغد . والاجتماع هو الذي يتحمل مغبة كل ذلك . ولما كان كل هذا الشر لو سير في نظامه على منهاج الاجتماع الطبيعي

ولا نريد بهذا القول ان الناس في طبائعهم يكونون بعيدين عن كل شر بل ان مهولة انتقالم في شرائعهم وتحولهم في نظاماتهم بلطف من هذا الشر ويزيل كثيراً من اسبابه . بل بمعرفتهم نواميس نظام الاجتماع الطبيعي يحسنون تطبيق نظاماتهم عليه فيقدرون فيها ناموس التكافل القاضي بتقاسم المنفعة على قدر العمل حق قدره . ويحنبون بذلك شر ناموس التكافؤ القاضي بشدة التنازع اشد المباينة بين هذا التقاسم والعمل ويتقون بذلك شر تبذير القوى في الاجتماع عملاً بناموس الاقتصاد الاجتماعي الطبيعي . فيعملون الانسان حقيقة واجباته من نفس احترام حقوقه اذ لا شيء اقدر على تعريف الانسان واجباته للقيام بها مثل معرفته المنافع المترتبة له . عليها فبا احترام الحقوق تعرف الواجبات فتقل الجنابات المترتبة على الجهل بها وبراعة كل افراد المجتمع في احوالهم المعاشية تحسن صحتهم فتقل امراضهم وتبقى الاوثة اذ نقل اسباب تولدها وانتشارها . ولا يخفى ما يتبع ذلك من تحسن اخلاقهم واستقامة طبائعهم فلا يفشو الكذب بينهم هرباً من عقاب او مراعاة لمصلحة ونقل السرقة المترتبة على الحاجة . وهل يصح ان يكون الامر على غير ذلك ؟ افلسنا نحن

الذين علمنا الانسان ان يكذب لاننا عاقبناه على الصدق وان يسرق لاننا حجبنا عنه ما يحتاج اليه ؟ او ليس شرائعنا هي التي تمنعنا عن تلك الشهادة الادبية التي تسموها اخلاق الانسان ونحملنا كرمها على احترام هذا الحجب المنصب بالارهاب ؟ ولا فرق في ذلك بين شرائعنا الاوتوقراطية والاثوقراطية في كل فقرة منها ما يرد الفرائض بالتهديد والوعيد . ولماذا كل هذا الغضب على هذا الانسان الضعيف الذي اقل احتياجه من احتياجه كاف لان يدفعه الى ارتكاب الجريمة لان الاحتياج مؤلم فالجوع فضأح والحاجة قاتلة . فلماذا لا ننظر الى ذلك بالنظر الصائب ونكفي الانسان حاجته ونكتفي شره بل ننتفع كل النفع به ؟

ونحن اذا طلبنا ان يكفي الاجتماع حاجته وتدرأ عنه علله وامراضه فلا نكون قد تمينا حكماً او قصدنا وهماً بل نكون قد تحدينا نظام جسم الحي نفسه الذي كل عضو منه بل كل جزء مما كان دقيقاً من اجزائه يعمل لنفسه وللكل معاً والكل نفسه يعمل له وعلى صحة هذا الجزء نتوقف صحة الكل والا اضطرب جسم الحي كله وساء مصيره . فدرس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس نواميس الجسم الحي نفسه ووضع نظاماته على نفس نظاماته لان الاجتماع البشري نفسه ليس الا جسماً حياً ايضاً ولكنه حيوان هائل كما قال عنه المقتطف منذ سنين تعقيباً على بحث لي في تاريخ الاجتماع الطبيعي نشر فيه في ذلك الحين ولقائل ان الاجتماع على الصورة التي هو فيها سائر على نظام الطبيعة نفسها وهو متحول شيئاً فشيئاً بالتدرج متذبذب مثلها وثوراته مثل نكباتها فالاسراع في ارتقائه واجتنب تذبذبه وثوراته يخالف للنظام الطبيعي . وهذا القول حق لولا ان الاجتماع عاقل والطبيعة عمياء فهو قادر ان يتصرف بامرارها ويصرفها الى مصلحته حتى يصح القول ان الانسان من يوم امتدى الى الكساء وشاد البناء لم يتغير بدنه كثيراً ولكنه في شرائعه لم ينظر الى نواميس الطبيعة لتطبيقها عليها واختيار الانفع منها بل صبا عنها الى ما سواها وخالف بذلك نظامها فكان عقله هنا جني عليه فصرفه عن تعرف اقرب الاشياء اليه والحقها به حتى اوغل في الضلال وصار رده الى الصواب صعباً جداً . او ليس من العار ان ترى الانسان حتى الآن مشغولاً عن حاضره بماضي يبنى عليه مستقبله منصرفاً بالبحث في ما لا يجدي عن البحث في ما يجدي وما مثله الا مثل من يمشي الى الامام وهو ملتفت الى الوراء فلا غرو اذا وقع في حفرة منجم الاسكندر وهو يمشي ويعد نجوم السماء حتى قبل فيه المثل " من اشتغل بعلم ما فوقه بلي يجهل ما تحته " — فلم يكن بد لوضع الاجتماع في صراط يصون له توازنه ويسرع ارتقائه من صرف قوى الانسان فيه عن تلك المباحث الرثة المضيقة للعقل المضللة له من

فلسفة نظريّة وتواريخ كنسج العناكب وعلوم عالية ككفة الميزان الفارغة واقاصيص كقافم عفاريت الف ليلة وليلة وتوجيهها الى البحث الجدة الذي يضمن له ذلك ألا وهو العلوم الطبيعية بما فيها من فلسفة اخبارية مثينة واسعة التي هي الممول الوحيد كما تقدم لهدم تلك العلوم السخافية وما بُني عليها من المنظمات الاجتماعية الفاسدة والاساس المتيّن الذي يشاد عليه ببيان الاجتماع الباسق في المستقبل

واذا علمت ان شأن العلوم الطبيعية لم يأخذ يتعاظم الا في القرن الماضي وان النوايس الكبرى التي تسوس الطبيعة لم تنجل حقيقة الا في النصف الثاني منه ونظرت الى النتائج العظمى التي ترتبت على ذلك في هذا الزمن القصير من ارتفاع شأن المنافع العمومية وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة ونشر التعليم ومعرفة حقوق الانسان وتقرير سيادة الامم وخصوصاً اتجاه قوى العقل الى النظر في القريب الداني وتولد حب البحث فيه عن الحقائق الملوسة لم يبدو لك شيء من الغلو في ما تقدم من القول . فان تحوّل مجرى افكار الانسان في جميع مباحثه الى هذه الجهة سيكشف له امراراً كثيرة في الطبيعة ليس المعلوم منها له اليوم الا نزراً يسيراً بالنسبة اليها تزيده علماء وفرة وتضطره بحكم الضرورة الى قلب سائر ما بناه على غير هذا الاساس بسرعة لا يعادها الا تباطؤه في ما مضى عن الاندفاع في هذا السبيل القويم . - واذا علمت ان سرقوته ليس بتعريفه خصائص المادة وخواص القوى البادية فيها كالحرارة والكربائية والنور والجاذبية على اطلاقها والالفة الكيماوية حتى القوى الحيوية بل بمعرفة تحوّل هذه القوى بعضها الى بعض وربطها بناموس عام يشملها جميعاً أعظمت شأن مذهب النشوء والتحوّل الذي هو موضوع هذا الكتاب والذي هو من منجزات القرن الماضي وحده بل نصفه الاخير . بل لو علمت كم كلف من العناء تقرير هذا المبدأ الذي يبدو اليوم للعلم بسيطاً وكما اثار من الحروب القليلة واللسانية بين علماء النظر والاختبار بل بين علماء الطبيعة انفسهم قبل ان يقرّ العلم بما يزيدك دلالة على ما للاعتقادات الموروثة من الشأن في الضغط على العقول حتى الراقية لاعظمت جدّاً الفكرة الاستنتاجية التي حملت دارون على التصريح به بل صبره واجتهاده في جمع الادلة لتأييده ولأعظمت جسارة انباءه واطلاقهم اياه على العالم باسمه وتطبيق اعمال الفكر نفسه عليه

والحق ان فضل دارون العظيم ليس في فكرة وضع اساس هذا المذهب بل بتأييده له بالادلة العلمية الطبيعية . وجعله صالحاً لا لان يطبق على الاحياء وحدها فقط بل لان يشمل الطبيعة كلها لا في الارض ومواليدها الجماد والنبات والحيوان فقط بل في السماء

واجرامها ايضاً . فقد سبق دارون فلاسفة وعلماء طبيعيون قالوا بهذا المذهب قبله اوجا بدل عليه واخصهم بالذكر عالمان طبيعيين كبيران وهما لامارك وجفروى سنيليار في اوائل القرن الماضي ولكن ابحاثهما فيه كانت قاصرة لقلة الادلة العلمية فلم تستطع ان توجه الافكار اليها وان تحدث الثورة التي احدثتها ابحاث دارون فاقامت العلماء واقعدتهم واثارت بينهم حرباً شعواء كانت هي السبب في جلاء هذا المذهب وانتصاره

والغريب ان دارون ايد مذهبهُ بشواهد وادلة اخذها من ابحاث علماء اعلام قبله وبعضهم كان من معاصريه ومع ذلك فقد لاقى من هؤلاء المعاصرين انفسهم مقاومات عنيفة وما مثلهم كما قال هيكال الا مثل رجل دخل غاباً كثيفاً فاخذ ينظر في كل شجرة من اشجاره ولكنه لم يمتد يبصره الى الغاب كله المؤلف من مجموعها كما ان الفلاسفة الذين قالوا بمذاهبهم في الكون نظروا الى الغاب جملة ولكنهم لم يدخلوا فيه لتعرف كل شجرة من اشجاره على حدة فانت مذاهبهم مغلوطة او غير ناضجة بخلاف دارون فانه تعرف كل شجرة من اشجاره ثم رجع ونظر فيه جملة . وهذا شأن اكثر الناس في مباحثهم فنهيم من يقف عند تعرف الجزئيات ولا تجد عنده اقل ميل للنظر في الكلّيات ومنهم من يمتد بنظره حالاً الى الكلّيات وما مثل الاولين الا مثل الفاعل الذي يقطع الحجارة وينحتها والآخرين مثل البناء الذي يبنها . فان ابحاث علماء الاجسام الحية في تركيبها والفوارق التي بينها والاعضاء الاثرية التي فيها واختلافهم في عدد الانواع واختلافها في آفاقها كل ذلك كان قد زرع مذهب الخلق النوعي المستقل . وكانت ابحاث ليكل في طبقات الارض قبل ذلك قد اثبتت حصول التغير التدريجي فيها ونفت القول بمذهب النكبات الجيولوجية الكلية الفجائية واجهزت على القول بمذهب الخلق الكلي ثم جاءت الاحافير التي اكتشفت في هذه الطبقات مؤيدة للتحوّل البطيء في الاحياء نفسها . فلما جاء دارون لم يكن عليه الا النظر في ذلك جملة لتأييد مذهب التحوّل ونسبته الى اسباب مختلفة طبيعية حدث به الى وضع مذهبه الشهير وهو الانتخاب الطبيعي تبعاً لناموس المطابقة القائم على تنازع البقاء وبقاء الانسب . وعزز قوله بأنه تحدّى الطبيعة وايد عملها بالانتخاب الصناعي

واغرب مما نقدّم ان دارون نفسه مع انه واضع اساس مذهب النشوء والتحوّل الطبيعي لم يستنتج من مذهبه كل ما يترتب عليه من النتائج الصريحة اما لانه لم يستطع او لم يحسّر لشدة تأثره بالمذاهب الشائعة واما لانه لم يرد ليردّ عنه مقاومة اصحاب الخلق النوعي لصعوبة اقامة الدليل العلمي على التولد الذاتي . فقال ان الاحياء نشأت في اول الامر من

خمسة اوسمة اصول تامة الخلق ومنها تفرعت سائر الاحياء المعروفة اليوم والبائدة بفعل نوايس الطبيعة نفسها . ولكن التحفظ لم يغنه شيئاً فقد لاقى مذهبه مع ذلك مقاومات شديدة جداً من اصحاب مذهب الخلق النوعي وخصوصاً من اذناهم اصحاب المبدأ الحيوي . على ان الذي لم يتصل اليه دارون او لم يشأ ان يصرح به فعله معتقو مذهبه بعده على اثر انتشاره حالاً واطلقوه على سائر الطبيعة . واكبر زعمائهم مكسلي وسبنسر في انكلترا وهكل وبنجر في المانيا

وسواء هبطت اصول الاحياء من السماوات العلى كما يفهم من قول دارون او وصلت الينا من بعض الاجرام محمولة على بعض النيازك كما ذهب السير وليم طمسن المعروف بالورد كلفن ايضاً صاحب المباحث الكبرى في فلسفة الكون وواضع مذهب الحلقات الزويعية في الهيولى لتعليل الجواهر الفردة فان ذلك لا يؤيد مذهب الخلق الفجائي الذي هو كالتولد الذاتي ليس لنا عليه ادنى دليل علمي او شاعري عياني ولا ينبغي كون التولد الذاتي حاصل في الاجرام التي هبطت الجراثيم منها او ممكنة في الارض التي تمت وتحولت فيها وانما ثبتت شدة تأثير العقول بالمذاهب الشائعة ولو انها بقايا اساطير تخالف العلم . وخصوصاً انقيادها لمذهب القائل بان القوى الحيوية لا علاقة لها بالقوى الطبيعية وكل علاقتها بها انما هي عارضة . وهو بقية رثة من مذهب تعدد القوى في الطبيعة لا تنطبق على فلسفة ناموس النشوء والتحول الذي صار اليوم في حكم المقرر لدي جمهور العلماء والذي لا يعترف الا بوحدة هذه القوى لثبوت تحولها بعضها الى بعض . وكان زعماءه ' المنخفض صوتهم جداً اليوم

وواضع اساس هذه الوحدة في نوايس الطبيعة هو بالحقيقة اسحق نيوتون الفيلسوف الرياضي الانكليزي الشهير وذلك في القرن السابع عشر . فانه لسبب طفيف عرض لكل منا في كل دقيقة ولا يقف في الخاطر وهو سقوط تفاحة من الشجرة الى الارض اكتشف نوايس الجاذبية العامة وأقرها على اساس علمي واطلقها على كل الكون . وقد اشار فلاسفة اليونان الى هذه الجاذبية في نظرم الى الكواكب واعتبارها علة دورانها بعضها حول بعض . وقد نقل العرب عنهم ذلك وعبروا عنه بلفظة الشوق ولم يزدوا على ذلك . وقد استعمل عنهم هذه اللفظة للتعبير عن الجاذبية في قولي

لولا الهوى وبديع الشوق يهديه ما صح في الكون معنى من معانيه

ولامسى النجم في العلياء وانتظمت له المواقع تقصيه وتنديه

فمرجع الفضل في اكتشاف نوايس الجاذبية وتطبيقها على العلوم الرياضية انما هو لنيوتن

وحده كما ان الفضل في تقرير مذهب النشوء والتحول على مبادئ علمية اخبارية ثابتة هو
لدارون وحده . على ان نيوتن وقف في مذهبه عند هذا الحد ولم يشر الى العلاقة بين
جاذبيته وسائر قوى الطبيعة ليرد هذه اليها او يجعل تلك منها حتى انتشر مذهب النشوء
والتحول فاتم الرابط وصارت هذه النتيجة لازمة لدى معتققي هذا المذهب كما في هذا القول
شوق تكامل من ادنى الوجود الى اعلى فاعلى الى اعلى اعاليه
حتى تنهاى وقلب المرء تلبه نار من الحب يذكيها وتذكيه
ولاسيما انه كان قد تقرر قبله تحول قوى الطبيعة بعضها الى بعض كالحرارة والنور
والكهربائية واعتبارها جميعها من اصل واحد
الدكتور شميل

الاجتماع

والخلل في الغريزة العائلية والنقص في القانون

بيئت في المقالة التي صدرت في مقتطف الشهر الماضي الخلل التي يرافق وظيفة حفظ
النوع واقتصرت في البيان على ما يسمح المقتطف بنشره وضربت صفحا عما شاهدت من
الحوادث الغريبة التي تؤيد ذلك ولا تبقي مجالاً للريب . وسأبين في هذه المقالة الخلل في
الغريزة العائلية وقد قصرت الكلام عليها هنا دون بقية الغرائز لانها فرع من وظيفة حفظ
النوع والصفة التي يتوقف عليها حب العائلة وينشأ منها النظام الاجتماعي . وسنرى فيما يأتي
ان الغرائز في الحيوان والانسان لا يصح الاعتماد عليها في الاعمال الحيوية ولا في الاوضاع
الادبية لان في عملها خللاً تابعاً لخلل الاصل الذي نشأت منه . ولا غرو اذا وجد الخلل
في غريزة الانسان العائلية لانها احدث عهداً في تاريخ النشوء من الغريزة الجنسية ولانها في
الحيوان اضعف منها في الانسان واقل وضوحاً من بقية الغرائز

وما يدعوى الى تدقيق البحث في هذا الموضوع ما نراه دائماً من زعم بعض الكتاب
والمفكرين لاثبات بعض النظريات في فلسفة الاجتماع العائلي والجنسي ان الاجتماع بلغ في
سلم الارتقاء الغاية التي لا غاية بعدها والانسانية بلغت حداً من الكمال لا يقبل المزيد لان
العقل البشري ضمن السعادة للانسان بما اكتشف من اسرار الطبيعة وبما سن من الشرائع
والقوانين والنظم . على ان حكمهم هذا لا تؤيده البراهين الوضعية ولا تنطبق موادّه على

العوامل والظواهر الطبيعية ولو تعمقوا في درس النظام الطبيعي لعرفوا فساد مقدماتهم ومن ثم فساد نتائجها . والفيلسوف الحقيقي لا يندفع بالظواهر بل ينعم النظر في كل ما يقع تحت حواسه ويرجع به الى مصدره ولا ينفك حتى ينكشف له ' سره ' ويفهم معني وجوده .
لا صحة لما يزعمه عامة الناس ان الغريزة في الحيوان دليل امين للعمل الحيوي لانها مخزنة في عملها وفاسدة في نظامها وقد بينت في المقالة السابقة الفساد الذي يرافق غريزة حفظ النوع في الانسان لانها تخوف عن قضاء العمل المعينة له ' الى عمل آخر هو ضد الطبيعة . والغريزة الاجتماعية او العائلية تخوف ايضا عن عملها الى عمل آخر هو ضد الاجتماع ويظهر ذلك في الحيوان بقتل صغارهم وفي الانسان بالاسقاط ومنع التوالد . فالانسان لا يختلف بذلك عن الحيوان الا بكونه يتذرع بما عنده من العلم والمعرفة لاتخاذ الطرق المانعة الحمل او المسهلة لاسقاط فقل ' بذلك اضطراره الى قتل الاطفال . فالغريزة العائلية فيه ارتقت كثيراً عما هي في الحيوان ولكن بقي فيها اثر الضعف الحيواني

من مفسد الاجتماع الراقي ميل الانسان فيه الى تقليل نسله لانه في الاصل كثير التوالد فاستنبط الوسائط المتعددة لتقليله وغلب في الامم المتوحشة او القليلة التمدن الالتجاء الى الاسقاط وفي الامم المتقدمة والراقية الالتجاء الى ما يمنع الحمل . والاسقاط معروف منذ القديم لان فلاسفة اليونان كانوا يجوزونه في بعض الاحوال واليهود والفرس كانوا يعاقبون عليه وهو لا يزال كثيراً عند الهنود المستقلين وغير قليل عند الهنود الخاضعين للحكم الانكليزي والبعض يجريه علناً دون خشية العقاب من اية سلطة كانت . ولو وقف هذا الخلل عند الامم النخطة لقلنا ان الاثر الحيواني لا يزال راسخاً فيها وانها لا تستطيع ان تغلب عليه الا ' بارتقاء الانسانية . على ان وجوده عند الامم الراقية دليل على رصوخه في الانسان ولو علا في سلم المدنية لانه ليس بنادر حتى عند ارقى الامم مدنية رغماً عن مراقبة السلطة ومعاينة القانون . ومن الامثلة على ذلك ان بعض الانراك يعتقدون ان حياة الجنين الحقيقية لا تبتدى قبل الشهر الخامس فلا يحسبون الاسقاط قبله جريمة على انهم لا يقفون عند هذا الحد ولا يمتنعون عن اجرائه بعد اعتباره جريمة فقد حكم في الاساتنة في مدة عشرة اشهر من سنة ١٨٧٢ بثلاثة آلاف حادثة اسقاط . وهو في اوربا اقل منه في الشرق لان المراقبة هناك اشد ولان الحكومة اقامت الملاحي للاولاد غير الشرعيين فقل ' الاسقاط عندهم وزاد عدد اللقطاء وهذا هو السبب في زيادة الاسقاط في الشرق وقلة اللقطاء وقد كثر الميل لتقليل النسل الى درجة توجب الاسف حتى اصبحت النساء المتمدنات

تفخرن بالاسقاط كما تفخر به نساء الام المخطة وعذرهن في ذلك عدم استطاعتهن اعادة عائلة كبيرة في احوال المدينة الحاضرة . ويميل السواد الاعظم في هذه الايام الى الوقوف في الولادة عند حد ولد او ولدين

اما الحيوانات فليس في وسعها ان تجري عملية دقيقة ومركبة كعملية الاسقاط فتقتل نسلها بقتل صغارها وقد انتقل هذا العيب الغريزي فيها الى الانسان لانه عدا عما هو فيه من فساد الغريزة بمنع التوالد والاسقاط لا يزال يحفظ في غريزته اثرًا من الغريزة الحيوانية بقتل الصغار فالليونان والرومان كانوا يعتبرون الطفل المولود حديثًا غير متمتع بحق الحياة والامان كانوا يهجون اولادهم والعرب قبل الاسلام كانوا يثدون بناتهم اي يدفنونهن احياء والهنود واهل الصين يقتلون نحو ثلثي بناتهم ولا يزال ذلك جارياً عند الشعوب المخطة في سلم المدينة او الآخذة بالانقراض كسكان جنوب غاليا الجديدة وغينيا الجديدة. ويمكن ايراد شواهد كثيرة على ذلك استناداً على بعض العلماء الذين يبحثوا في هذا الموضوع وعلى تقارير المرسلين نضرب عنها صفحاً اكتفاء بما ذكر . على ان اوضح دليل على ضعف الغريزة العائلية هو وجود هذه العادة عند الامم الراقية حيث قامت الطرق العلمية التي لا خطر منها على صحة المرأة مقام الطرق الخسنة التي تستعملها الامم المتوحشة

واذا بحثنا عن انقراض بعض الشعوب علمنا انه من ضعف الغريزة العائلية فيها او من عدم نموها الا ان ذلك لا يوجب الاعتقاد بإمكان انقراض الجنس البشري لان هذه الغريزة متصلة كثيراً في الانسان واصلها الحيواني قد يؤدي الى انقراض بعض الشعوب او بعض الانسان ولكن يبقى منها فيه ما يكفي لحفظ نسله الى مدى الاجيال . ولعل العلم ينفع المدينة المستقبلية بوضع نظام للعيشة سهل وبسيط ويسهل الكسب والسعة للعموم فتقوى بذلك الغريزة العائلية ويقل الميل لتقليل النسل

لا ريب ان الانسان كائن اجتماعي والغريزة الاجتماعية فيه وان تكن حديثة الا انها فيه ارقى جداً منها في كل جمعة حيوانية حتى ان القردة الشبيهة بالانسان لم تتقدم من هذا القبيل نقداً كبيراً وبعضها وان اظهر من عواطف الحب ما يدل على اهليتها للعيشة الاشتراكية كما نراها وهي في الاسر الا انها في الحالة الفطرية لا تعيش الا عيشة عائلية ولا تتألف جمعيتها الا من افراد العائلة ويندر ان يجتمع منها عشرة معاً . روى بعضهم اجتماع خمسين فرداً يلعبون معاً على ان ذلك نادر واذا ثبت فهو لا يدل الا على دور اجتماعي في اول نشأته . والاجتماع الانساني هو بدون شك ارقى واعلى بما لا يقدر حتى ان الشعوب

المخططة كثيراً في سلم المدينة والاقترب الى الفطرة الاصلية كاهالي استراليا الاصليين نظهر
 الغريزة الاجتماعية فيهم باكثر وضوح مما هي في القرد
 ان رسوخ الغريزة الاجتماعية في الانسان مال بالفلاسفة والمفكرين الى الاعتقاد بانها
 خاصة طبيعية يمكن للهيئة البشرية ان تتخذها قاعدة لسعادة الحياة . وقد افترغ العلماء مجهودهم
 لوضع نظام ادبي على اساس علمي لا يكون فيه دخل للقوى التي فوق الطبيعة فاختفوا ولم
 يستطيعوا الوصول الى الغرض الذي يرمون اليه لانه لم يكن عندهم ما يرجعون اليه في مطلبهم
 سوى اضطرار الانسان الغريزي الى العيشة الاجتماعية وكان هذا المعول عليه منذ القرن
 الماضي الى الآن فذهب بخنجر وهو من اركان العلماء الماديين " ان ما يدعى بالحس الادبي
 ينشأ من الغرائز الاجتماعية او من العادات التي تنمو في الجمعية حيوانية كانت او انسانية وان
 الناموس الادبي ينشأ من الاجتماع ويتكيف في جمعية معلومة بمقتضى التصورات والحاجات
 التي تغلب في تلك الجمعية . وذهب ايضاً الى ان الانسان كائن اجتماعي ولا يمكن اعتباره
 خارجاً عن الاجتماع الا حيواناً مفترساً فمن الواضح ان الحياة الاشتراكية توجب عليه واجبات
 اشتراكية وتثألف ثمة منها مبادئ ادبية خصوصية " وبقي هذا الرأي معتمداً الى عهد قريب
 لان هكل وهو من اركان العلماء المعاصرين يرتأي " ان الشعور بالواجب لا يتوقف على حكم
 القانون بل على مدلول الغرائز الاجتماعية الموجودة في كل الحيوانات العليا التي تعيش مجتمعة
 والتي غابتها العظمى في الحالة الادبية التوفيق بين الانانية والغيرية . اي بين حب الذات
 وحب الغير فاذا شاء الانسان ان يعيش في جمعية حسنة النظام وان يكون سعيداً وجب عليه
 ان يسعى للحصول على سعادته الخصوصية وعلى سعادة المجتمع الذي يتخضع هو به وسعادة
 امثاله الذين يولفون ذلك المجتمع وعليه ان يعرف ان نجاحهم هو نجاحه وان شقاءهم هو
 شقاؤه . وهذا الناموس الاسامي الاجتماعي بسيط وطبيعي حتى يتعذر علينا معاكسته نظرياً
 او علمياً وهو جارٍ اليوم كما كان يجري منذ الوف من السنين " على ان علماء هذه الايام يخالفون
 هذا الرأي لانهم يتقنوا وجود الفساد في الغريزة وعدم صحة الاسترشاد بها فالادب الذي
 يعزوه هكل الى الغريزة الاجتماعية ونموها في الانسان والحيوان يرجع في وضعه الى نمو القوى
 العاقلة كما لا يخفى . وقد اوضحنا في ما سبق ان الغرائز الجنسية قد تقوم بمطالبتها افعال ضد
 الطبيعة والغرائز الاجتماعية قد ترضى بافعال ضد الاجتماع لان منع التوالد والاسقاط وقتل
 الاطفال افعال ضد الاجتماع وتسير جنباً لجنب مع حب الزوجة وحب الاولاد ونرى ايضاً
 ان لاعداء الهيئة الاجتماعية اي الاشقياء والقلة وسفاكي الدماء نوعاً خصوصياً من الاخلاق

الادبية فهم امناء بعضهم لبعض ويميل بعضهم الى بعض ويكرهون سواهم وقد يكون لاحد وهو اكثر الناس شراً وافظعهم عملاً واشدهم رهبة انعطاف خاص لاحد امثاله . فالغريزة الاجتماعية ليست ان يكون لكل انسان او لكل فئة غريزة اجتماعية خصوصية بل هي التي تؤهل افراد الهيئة الى عمل مشترك يكون فيه من التضامن العام ما يضمن السعادة للعموم والابقيت الغريزة الاجتماعية في الانسان دون درجة البلوغ لبنيان الاجتماع وتشييدو على اركان السعادة

رغماً عما بلغ الانسان من المدنية والعلم لا تزال غريزته الاجتماعية نافضة لانها لا تستطيع ان ترشده الى الخطة التي يجب عليه ان يتبعها ولا ان تدله على الحدود التي يصح ان يقف عندها وهذه هي العقدة التي لا يمكن حلها حلاً مرضياً لا بالنظريات العقلية ولا بالتعاليم الدينية . لان تشويش الغريزة في عملها يشوش على الانسان عمله واذا استرشدنا ارتبك بين ان يخصص ميله في اقاربه او ابناؤه ملتزم ودينه او فمين كانوا على مشربه وآرائه ونصواته او ان يتوسع فيه الى كل الجنس البشري سواء في ذلك السود او البيض والصالحون والطالحون . ومن المعلوم ان الآراء لحل هذا الاشكال قد اختلفت كثيراً باختلاف الازمنة والتصورات فكان الشعور الديني قبل هذه الايام متغلباً على كل شعور سواه وكان الدين الصلة القوية بين الشعوب والحروب الدينية يثور ثائرها بدون انقطاع والدين المسيحي وهو من اشد الاديان تسامحاً لم يقو على تسكين ثورة هذا الشعور المختل والامم المسيحية التي يقول لها مشرعها من لظمك على خدك الايمن حول له' الايسر كانت اشد الامم حماساً للقتل وسفك الدم ولم تقتصر في ذلك على عداوة الامم التي لم تكن على دينها بل انتشرت العداوة بين فئها المختلفة فاثارت حروباً دموية بعضها على بعض رخصت فيها الارواح ودلت اوضح دلالة على فساد الغريزة الاجتماعية وعلى عدم استطاعة الدين على اصلاح فسادها . ثم ضعف الشعور الديني وحل محله الشعور الوطني ولكنه لم يكن اقل منه انحرافاً ولا اضعف نظاماً لانه اثار ايضاً من الحروب اكثر مما اثار ذلك وهدم من بنيان الاجتماع اكثر مما هدم ذلك والتاريخ الماضي والحاضر شاهد على ذلك . وقد اخذ في هذه الايام ينتشر مبدأ التضامن العام وعليه اجتمعت امم مختلفة الدين واللغة والعوائد والاخلاق وحملوا على الصين حملة مشتركة ولم تجمعهم لذلك الجنسية لان الجنس المغولي انضم الى الاجناس الاوروبية ولا الرابطة الدينية لانهم كانوا مؤلفين من كاثوليك وبروتستانت وارثوذكس وبوذيين على ان ذلك ليس من التضامن العام بل هو تضامن فئة كبيرة مشتركة في المنافع ومتشابهة في التدريب العسكري والسياسي

فالتضامن العام هو ان يشعر كل فرد من افراد الهيئة البشرية بواجب العمل بما فيه مساعدة الكل . ويزعم البعض ان هذا الميل سيزيد انتشاراً حتى يشعر البشر كلهم انهم متضامنون على ان ذلك مما يعسر او يستحيل تحقيقه لما فيه من التشويش لان الميل المتطرف مضرو ويدعوا احياناً الى الانعطاف على الاضرار المضرين بالهيئة الاجتماعية وقد حمل بعض الامم على الاشتراك في الحرب بدون ان يكون لها منها فائدة ولهذا يفضل ان نقيّد الغريزة بفائدة الناس المجتمعين لغاية مشتركة . وقد ظهر من احنكاك الاجناس المختلفة بعضهم بعض في المعاش والمرافق صعوبة كبرى في تطبيق هذا المبدأ ونرى النزاع قائماً على الدوام في اميركا بين البيض والسود . ونرى الصينيين يجرمون في اميركا واوستراليا من بعض الحقوق التي يتمتع بها اهل البلاد

اتضح مما تقدم ان الغريزة الاجتماعية هي من مكشبات الانسان الحديثة وانها لانزال فيه ضعيفة او غير بالغة حد النمو بحيث لا يصح الاسترشاد بها لوضع نظام ثابت يصح العمل به والسير بمقتضاه فاضطر الحال منذ الازمنة القديمة للاتجاء الى سنة الوحي او الشريعة الدينية لربط العلائق بين الناس وللتوفيق بين مصالحهم . وبعد ما تشعبت المصالح وتعددت المطالب اضيفت اليها الشريعة الوضعية او القانون المدني فتوصلوا بذلك الى نوع من نظام الحياة المشتركة على ان ذلك لم يأت الانسانية بزالها المنشودة بل هو اشبه بمحاولة الطبيب في مداواة مرض عضال لا يرجى منه الشفاء فهو يحاول ان يدفع الالم عن المريض او ان يطيل اجله اذا استطاع لانه عند وقوع الكوارث التي تقوم فيها الفوضى مقام النظام وبسندل فيها النقاب على وجه القانون تظهر الغريزة باقوى مظاهرها من الخلل ومن امثلة ذلك ما شاهدته في كارنتين مهنتين احدهما في مدينة بيروت سقطت فيها منازل كبيرة على سكانها فاحشد الناس لمساعدة المنكوبين واخراج المردومين وتشاغل الكثيرون عن المساعدة بسلب ما وقعت عليه ايديهم . والثانية في مدينة زحلة احترقت فيها السوق الكبيرة فاسرع الناس الى تخليص البضائع لاصحابها ولكن ضاع منها بالنهب بقدر ما ضاع بالحريق . وما كدت افرغ من كتابة هذه الاسطر حتى ايدت ذلك الانباء البرقية عن زللة مسينا فان الغرائز الطبيعية انحلت من قيودها وانقضت الاصوص على المخازن يتهبوننها واضطرت الجنود ان تفرقها بالاسلح

فالاجتماع اذا لم يبلغ منتهى امل الانسانية بتشديد بنيانه على اركان ثابتة ثبتت معها سعادة الانسان . وارى من الصعب او المستحيل تحقيق هذه الامنية ما دامت الغرائز مختلة في عملها ومضلة في دلالتها وما دامت المنافع متعددة ومتنوعة والكل يعمل للاستئثار بها لان

حب الاثرة والسلطة من مظاهر الحيوانية او بالحري من الافعال الطبيعية التي تأصلت
وفت في كل الكائنات الحية وجعلت الحي يسعى لحفظ كيانه باستئصال ما يقدر على استئصاله
بما يعترض كيانه او بمحاربة ما لا يقوى عليه بما سلخه به الطبيعة من الاجهزة التي تدفع عنه
الاذى بحيث اصيحت الحياة حيوانية كانت او نباتية جهاداً مستمراً يستدئ منذ اول وجود
الحي الى ان تنتهك قواه وتخل عزيمة و يضمحل من عالمه . وهذا هو الناموس الطبيعي المعروف
بتنازع البقاء . ومهما بلغ القانون من الكمال فلا بد من بقاء اثر فيه للنقص الدال على نقص
في الغريزة وان يبقى فيه نقصير لعدم امكان احاطته بكل ما يتفرع من المسائل التي تعرض
عليه وهو يحاول حلها بتطبيق مواد التي وضعت للنظر الاجمالي في اعمال اجمالية فتطبيق
المادة على اعمال افردية قد لا يكون صحيحاً او لا يفي بالغرض المطلوب

وقد حاول الانسان منذ مئات من السنين تهذيب القانون وبالتوسع في مواد حتى
يمكن تطبيقها على كل قضية يعرض حلها عليه وربما زعم واضعوه والمشتغلون به انهم وصلوا
الى الغاية التي يرجونها منه وهي بسط العدالة وسعادة الاجتماع ولكنهم متى اضطروا الى
التطبيق وجدوا من العثرات والصعوبات ما لم يكن في الحسبان فيعودون الى التغيير
والتبديل والتحويل والتحويل وتبقى مع ذلك الحالة على ما هي من التعقيد والاشكال ولو
رجعوا الى النظام الطبيعي لعرفوا ان الخلل من سوء هذا النظام وان لا مناص في اشتباك
عناصر الاجتماع من ارتكاب المظالم ولا مناص ايضاً من وجوب تحملها

ولا ينكر ان الاجتماع قد ارتقى كثيراً ولا سيما في العصر الاخير ولكن في ارتفاعه
شدوداً وفي قانونه خروجاً عن الحدود لا يمكن التعليل عنهما الا بفساد الغريزة فقد تطرف
محبو الانسانية بمألف الجمعيات للرفق بالحيوان وزعموا ان ذلك من واجبات الانسانية ويحتم
على كل فرد العمل به ولكن فاتهم ان تطرفهم شدوذ عن الواجب الانساني لانهم يرفقون
بالحيوان ويجورون على الانسان فيحذرون على الحوذني ان يضرب البهيم بسوطه ولكنهم
لا يستنكرون ضرب الحوذني باسواطهم ويرفقون بالحيوان الآهل الذي ينفع الانسان بخدمته
ولكنهم يذبحون الحيوان الآهل الذي ينفعه بغذائه . فالرفق بالحيوان ان هو الا من اناية
الانسان وحبه للأثرة وليس هو في شيء من كمال الاجتماع

وقد شرعت رسل السلام في هذه الايام تبشر بسعادة الاجتماع وتطلب من اصحاب
الأثرة والسلطة نزع السلاح والنزوع الى النضامن العام . ولكن اني للمستأثر ان يرضي بذلك
وهو يرى الملايين تاتمر بامرهم وتفتأ في خدمته فيقودها على اهوائه كما يقود الراعي قطعاً

من الانعام فلا يرضى ان ينزل عن عرش الالهية ويستوي في مصاف الرعية . وارى ان الحكومة الدستورية لا تبعد كثيراً عن حكومة الفرد في تأدية الوظيفة الاجتماعية ولا تختلف عنها الا من حيث توزيع الاثر لان الحق في كليهما هو في جانب القوة ولان القانون يقول رجال الحكومتين ان تهدر الدماء وتذهب بالارواح بلا حساب ولا مبالاة . والفرق بينهما ان الحرب في الاولى تشهر بارادة الفرد وفي الثانية بارادة افراد وفي الاولى لارضاء رغائب الفرد وفي الثانية للدفاع عن مصالح الوطن وشرفه ولكنها هي الحرب على الحالين والدماء تهرق فيها في الحكومتين . فالحكومة الدستورية التي تفضل كثيراً حكومة الفرد لم تقم بالواجب المطلوب منها نحو الاجتماع بنشر السعادة وبسط العدالة بل بقيت هذه المسئلة فيها كما كانت في الحكومة المطلقة من المسائل المعقدة التي لا تحل او لا يحلها الا الزمن الآتي البعيد ومن غريب التوجيهات ادعاء الحكومات الدستورية ان الغاية من زيادة المعدات الحربية هي حفظ السلام العام ولو اجمعوا على العدول عنها ورفعوا عن اكتاف العامة عبء اثقالها لما كان في عملهم هذا ما يخل بالسلام العام بل كان هو السلام بعينه ولكانت الاولف العديدة تخلص من قيود الجندية وتشارك في العمل لخدمة الهيئة الاجتماعية وكانت العقول الثاقبة التي انصرفت الى اختراع معدات القتل تنصرف الى اختراع معدات العمران ولكانوا يستغنون عن القانون العسكري وعن المحكمة الدولية التي وضعت اصلاً لتوطيد دعائم السلام فانصرفت الى سن قوانين الحرب واشتغلت بفصل الخلاف في توزيع الغنائم

يزعم اهل السياسة ان محكمة لاهاي هي من محاسن هذا العصر لانها محكمة السلام وبها تجنب الحروب ويمنع هرق الدماء ولكنها منذ تشكيلها الى الآن لم تمنع حرباً ولا حققت دعماً فقد دعى لعقدها كبير من كبار مصر ورئيس من اعظم رؤساء الحكومات الذي يقبض على زمام اكثر من ١٢٠ مليوناً من البشر وما كادت تتألف حتى القى شعبه في حرب دموية شابت لهاولها الاطفال ولم يذكر التاريخ حرباً اكثر منها شؤماً واشد هولاً وافتنك في النفوس واقتل في المهج فاشتغلت محكمة لاهاي حينئذ بوضع قانون الحياد ولتأمين السفن الحربية ولغير ذلك من المسائل الخارجة عن وظيفتها الاصلية . وذاك الرجل العظيم الشأن الذي تخني لهيبته الرؤوس اجلالاً ولا يذكر اسمه الا بالتعظيم والاحترام ما كاد يخرج من تلك الحرب المشومة حتى انتشرت الثورة في بلاده وفاضت بها الدماء وعمّ البلاء ومع هذا كله في محكمة لاهاي التي قامت بدعوته لم تات عملاً ولا اوقفت حرباً ولا حققت دعماً ولا وجهت له لوماً فوجودها اذا لا يبرهن على حصول التضامن العام بل بالعكس يدل على خلل الغريزة الاجتماعية وبؤبؤ

ما قلناه سابقاً أنه لا يجوز الاسترشاد بها الى سن القانون فهو اشبه بفريضة انتخاب الطعام التي لا يهتدي بها الانسان الى انتخاب ما يلائمه من الغذاء فلجأ الى العلم الذي هداه الى معرفة الغذاء الموافق له في كل احوال المعيشة. ولهذا يجب ان نعرف اولاً ما هي مطالب الغريزة الاجتماعية ومن ثم نبحث في الوسائل التي تساعد على سعادة الافراد من المجتمع الانساني لان السعادة المطلقة يتعذر الحصول عليها والسعادة الحقيقية غير محدودة ولا معروفة وما نعتبره سعادة في الواحد قد يكون شقاء في الآخر ورب قائل يقول عن نفسه أنه سعيد والعموم ينكر عليه ذلك او يحكم له العموم بالسعادة وهو ينكرها على نفسه هذا عدا عن ان الشعور بالسعادة التامة كثيراً ما تكون عرضاً كما في الجنون او الفالج العام وللحصول عليه يجب ان يكون كل الناس مجانبين وعليه فالسعادة التامة والحقيقية ليست بموجودة لانها ترتبط ارتباطاً متيناً بالسعادة الاجتماعية وما دامت هذه بعيدة الحصول فتبقى هي والعدالة من العقد التي لا يسهل حلها يقول البعض ان القوانين وضعت في اجتماع يختلف عن الاجتماع الحالي فيجب نقضها برمتها وسن قانون جديد يوافق المدنية الحاضرة لان اصلاح البناء المخلل لا يجوز العمل فيه كما يجوز في البناء الجديد على ان ذلك لا يأتي بالغاية المطلوبة لان المدنية ليست واحدة بل تختلف باختلاف الامم في عوائدها واخلاقها وآدابها فلا يمكن ان يكون القانون شاملاً وثابتاً الا ان تكون المدنية واحدة واخلاق الامم كلها واحدة وثابتة وما دام التاموس الطبيعي يقضي بعد الثبوت على حالة واحدة فالقانون لا يمكن ان يكون ثابتاً بل يتنوع بحسب تقدم الامم في المدنية

وقد اصاب صديقي الدكتور شمائل بانتقاد القانون في رسالتين بليغتين نشرهما المقلم واخطأ الذين حملوا عليه وسفهاوا رأيه لانه فاتهم أنه بعيد المرمى وشريف الغاية ولذا تطفلت على البحث في هذا الموضوع من الوجهة الفلسفية والعلمية لا يوضح ما اشكل على مناظريه وفضلت نشره في المقتطف لسعة باب البحث فيه وانما ولجت هذا الباب اظهاراً للحقيقة من جهة واستدراكاً لمعارف الادباء من جهة اخرى وما انا في هذا البحث سوى ملتقط فناناً من موائد اهل العلم ولعل صديقي الدكتور شمائل يتحيف القراء بنفشات قلبه السجال لانه عزيز المادة وواسع الاطلاع في هذه الابحاث وقل من يجاريه فيها وبقتفيه علماء القانون وغيرهم من رجال العلم والادب الذين يهتمهم ارتقاء الاجتماع ووضع نظام لنمو الانسانية يكون فيه اقل ما يمكن من الشوائب لئلا يتمكن افراد المجتمع من الحصول على قدر ما يمكن من السعادة والتمتع بقدر ما يمكن من العدالة

الدكتور امين ابو خاطر

شعر الشريف الرضي

قالوا ان الشاعر الذي بطمع في تخليد ذكره يجب ان يكون مجيداً وغير الجيد من الشعر لا يبقى بعد ناظمه ولا عبرة بالاكثر لان الاكثر وحده لا يكفي لجعل الشاعر في مصاف الشعراء المفلحين فهذا السؤال مثلاً يعد في الطبقة الاولى على اننا لا نذكر له غير القصيدة التي مطلعها

اذا المرث لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وامر القيس دبوانه صغير ولم يشع منه سوى معلقته المشهورة الا ان الشريف الرضي قد جمع بين الاكثر والاجادة حتى انه دعي في وقته اشعر قریش لان شعراءهم لم يكثروا وان المكثّر منهم لم يكن مجيداً والمجيد لم يكن مكثراً والرضي قد فاز بالامرین فكان شاعراً معدوداً ولم يزل يحسب من عداد الشعراء النابغين مثل المتنبي والبي تميم والبحتري . ومن الناس من يفضلهم عليهم والظاهر انه فاقهم بمقدرته الفائقة على امتداد النفس في نظم القصائد الطويلة فكان بنظم القصيدة ويبلغ بها المئة بيتاً ثم هو لا تبدو عليه امارات الكلفة التي كثيراً ما تظهر في شعر غيره اذا عمد الى التطويل . وكان مطبوعاً على السهل من النظم فهو يشبه بهاء الدين زهيراً من هذا القبيل على انه كثيراً ما كان يغرب في شعره شأن سائر الشعراء فيستشف منه انه انحرّف عن فطرته وحاد عن سليقته واليك مثلاً من شعره اللطيف السهل

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| فلأصبح بدوم ولا مساء | بلونا ما تجي به الليالي |
| فما بقي النعيم ولا الشقاء | وانضينا المدى طرباً وهماً |
| ففي حسن العزاء لنا شفاء | اذا كان الاسمي داءً مقيماً |
| ولا كد يطول ولا عناء | ولا ينبغي من الايام فوت |
| فسيان السوابق والبطاء | تنال جميع ما تسعى اليه |

ومن غريبه

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| ان كان وعد الاماني غير مكذوب | ما يصنع السير بالجرد السراحيب |
| هيئات اطلب امراً غير مطلوب | لله امر من الايام اطلبه |
| فالهم يطرده قرع الظنايب | لا تصحب الدهر الا غير منتظر |
| كالسيل يعصف بالصوان واللوب | واقذف بنفسك في شعواء خابطة |

ان حنّت الذئب شوقاً وهي واقفة فان عزمي مشتاق الى الذئب
وكان يحفظ شعر المتنبي ويعجب به ولولا ذلك ما كان علق في ذهنه واصبح من جملة
محفوظاته على ان البعض روي عنه انه كان في احد الاوقات يبحث في شعر المتنبي وينتقده
ويظهر معانيه ويقول ان المتنبي ليس بشاعر وكان ابو العلاء المعري في مجلسه فسأله الشريف
عن رأيه في ابي الطيب فقال ابو العلاء على الفور ان لم يكن للمتنبي غير قصيدته التي
يقول في مطلعها

لك يا منازل في القلوب منازل افقرت انت وهن منك اواهل
لكفاه ذلك ان يكون شاعراً عظيماً فاحندم غيظ الرضي من ابي العلاء وقال للجماعة
اطردوا هذا الاعمي من مجلسي فخرج ابو العلاء من مجلس الشريف ثم سأله اصحابه فقالوا
ان ابا العلاء لم يقل الا خيراً فلماذا حنقت عليه فقال لم انكم لا تعلمون ماذا قصد فانه قصد
من هذه القصيدة البيت الذي يقول

واذا انتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل
وقد تكون هذه الرواية صحيحة وقد تكون موضوعة ولكنها اذا اتخذت دليلاً على
احتقار الشريف للمتنبي فهي موضوعة . بذلك على ان الرضي لم يكن ينتقص المتنبي وانه
حفظ من شعره الشيء الكثير انه كان يقداه في بعض المواطن ويضرب على قواله وكثيراً
ما كان يستعمل الفاظ المتنبي التي علق في ذهنه شأن كل شاعر يتوخى طريقة غيره او
يحفظ كلام غيره من الشعراء قال الشريف

كلامي غبار الخليل في كل غارة وثوبي العوالي والحديد المذرب
وللمتنبي

يريد بك الحساد ما الله دافع وممر العوالي والحديد المذرب
وللشريف

اذا شئت فارقت الحبيب وبيننا من الشوق ما يمي علي واكتب
ولابي الطيب

واخلاق كافور اذا شئت مدحه وان لم اشأ تملي علي واكتب
وللشريف

فلا زال ممدوداً عليك ظلاله ولا زلت في نعمائه ثقلي

وللمتني

واظلم اهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب
ولم يكن هذا التوارد اللفظي في الخواطر كثيراً في شعر الرضي وانما جاء في بعض ابيانه
مما يدل على انه قرأ المتني كثيراً. ورأيت في غصون قراءتي لشعر الشريف قصائد حكيمه
كثيرة ومنها ما يماثل منظوم المتني في المعاني الحكيمه وهك نموذجا منها

اذا قلّ مالي قلّ صحي وان نما فلي من جميع الناس اهل ومرحب
غني المرء عزّ والفقر كأنه لدى الناس مهنؤ الملاطين اجرب
تطالبي نفسي بكل عظيمه اري دونها جاري دم يتصب
ويأمرني الدلان ان لا اطيعها واعلم من طرق العلى اين اذهب
ولا علم لي بالغيب الا طليعة من الحزم لا يخفى عليها الغيب

وهي مثل حكم المتني والغالب ان الشريف كان يجيد في الحكم وشكوى الزمان والاخوان
اكثر من اجادته في سائر ابواب الشعر فاذا مدح كان يبتدىء بالحكم ويتوصل بعد ان يكثر
منه الى مدح الممدوح وسبب ذلك انه لم يمدح احداً طمعاً بمنصب لانه كان رفيع المنزله
عزيز الجناح فهو بهذا يختلف عن المتني كثيراً لان المتني كان يمدح الامراء اسجداء
فاذا اخفق مسعاه عاد الى الهجاء كما جرى له مع كافور. اما الشريف فكان اعظم قومه
وكان يترشح للخلافة وكان ابو اسحق الصابي يطمعه فيها ويذهب الى ان طالعه يدل على ذلك
وله في هذا شعر ارسله الى القادر بالله قال فيه

عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحه العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابداً اكلانا في المعالي معرق
الا خلافة ميزتك فاني انا عاطل منها وانت مطوق

ومن يقول هذا القول ليس في حاجة الى التزلف الى الخليفة او الى غيره. وكانت
داره مباءة للعلماء واهل الادب ولم يكن اقل من المتني حكماً وقد يفوقه في بعض
المواقع ولو قيض له ان يعنى بدبوانه فيشرح شرحاً وافياً مثل ما شرح ديوان المتني لكان
الآن مرجع اللغة على العموم. ومعلوم ان المرء يميل بطبعه الى قراءة الشعر السهل فان هو رأى
ما يتعذر عليه فهمه تحاشاه ولم يأبه له ولا يخفى ان شعر الشريف بعيد التناول الا على
الاديب لما فيه من ترامي المعاني واغلاق المغازي على انه لم يات ذلك لضعفه في اللغة او
عدم مقدرة على التركيب السهل وانما كان ذلك منه لانه كان يميل الى اتيان المعاني الفائقة

التي لا تدرك إلا بعد أعمال الفكرة واعنائ الروية . ومن شعره اللطيف الذي يلج الاذان بدون استئذان قوله وهو من اوائل شعره

فداؤك نفسي يا من له
فلولاك ما عاق قلبي الهوى
اذا ما صددت دعائي الهوى
فيا جنتي ان رماني الزمان
دفعت بكفي زمامي اليك
فلا تحسبني ذليل القياد
من القلب ربع منيع الجناح
وعز على كل شوق طلابي
فملت الى خدعات العتاب
ويا صاحبي ان جفاني صحابي
وقد كنت ابطي على من حدا بي
فاني ابني على كل آبي

ومن نسيه قوله

افول وقد ارسلت اول نظرة
لئن كنت اخليت المكان الذي ارى
وكننت اظن الشوق للبعد وحده
خلامنك ظرني وامتلأ منك خاطري
ولم ار من اهوى قريباً الى جنبي
فهيات ان يخلو مكانك من قلبي
ولم ادري ان الشوق للبعد والقرب
كانك من عيني نقلت الى قلبي

وله من هذا النمط شيء كثير وكله بما يأخذ بمجامع القلوب ويلعب بالعواطف والنفوس فكأنك وانت تقرأ شعره السهل الممتنع تقرأ شعر شاعر من المعاصرين لا شعراً مضى عليه الف عام . وقد لحظت ان الشريف كان يجيد كثيراً في الشعر الخيالي كالغزل والوصف وقل ان يرى في قصائده التي من هذا القبيل امارات التكلف او التعقيد وما ذلك الا لانه كان يقول في هذه المعاني ما توحيه قريحته فلم يتقيد ولم يضطر الى الاغراب كما كان يفعل في القصائد التي يمدح بها احداً والتي يتوخى ان تنشر وتنشد بين الشعراء والادباء وهذا مما يدل على انه اذا لم يعمد الى الاغراب وترك نفسه تملي عليه ويكتب ما تمليه فلا يودع شعره الا في قالب من الالفاظ مهمل خال من حوشي الكلام ومعاظلة التراكيب . ثم ان ما كان يحدث له كان يحدث أيضاً للثني فكلها متفق من هذه الوجهة . وكان الشريف يتوخى القاء هيئته ورهبته بين شعراء العصر حتى لا يجراً احد على انتقاد شعره . ومعلوم ان معاصريه كانوا من كبار الشعراء وحسبنا ابو العلاء المعري فانه كان معاصراً له فلما نال الشريف منزلة عالية بين اهل الادب اجهد نفسه في المحافظة على تلك المنزلة فاغرب واغلق في حالات عديدة حتى كسب فوق اعتراف الناس بشاعريته اعترافهم بانه حجة اللغة وامام البلاغة

وكان شاعراً مطبوعاً نظم الشعر وهو في سن الصبا ومن شعره وكان له عشر منين
في ما قيل قوله

المجد يعلم ان المجد من اربي ولو تماديت في غي وفي لعب
اني لمن معشر ان جمعوا لعل تفرقوا عن نبي او وصي نبي
اذا هممت ففقدت عن شبا^(١) همي تجده في مهجات الانجم الشهب
وان عزمت فعزمي بسجيل قدي تدمي مساكه في اعين النوب
ومعرك صاغت ايدي الحمام به طلى الرجال على الخرصان من كسب^(٢)
حلت جباها المنايا في كتائبه بالضرب فاجنشت الاجساد بالقضب
تلاقت البيض في الاحشاء فاعنقت والسهمري من الماذي والياب^(٣)
بكت على الارض دمعاً من دماهم فاستعرت من ثغور النور والعشب

وقد اجاد في الرثاء واكثر رثائه كان في اقر بائه واهله واصدقائه فاذا ابتلي بفقد احد
منهم كان يتأثر شديد التأثر فينظم الشعر عفواً يبعثه عليه انفعال حقيقي في النفس ومن بعض
مراثيه ما نهج فيه منهج السهولة واحسنها رثاء ابي اسحاق الصابي الكاتب المشهور ومطلعها
اعلمت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي

وهذه المراثية مأثورة عن الشريف الرضي وكمن راثي جعل مطلعها ديباجة رثائه وبدء
كلامه وقد برز في قصائده الفخرية واخص منها القصائد التي افتخر فيها باجداده من الامام
علي ابن ابي طالب وابنه الحسين حتى ابيه الطاهر وكان يحسب ان لا شرف اعظم من الانشاء
الى ذلك البيت الطاهر وكثيراً ما نظم القوافي في مدح اسلافه وخصوصاً في رثاء الحسين
ومقتله وذم الجماعات الذين قاموا على الامام علي وعلى اولاده وهذا النهج الذي نهجه الرضي
في مدح آله اصبغ بعده القالب الذي ضرب عليه جميع شعراء الشيعة ممن جاؤوا بعده
حتى اليوم وكلهم اجادوا في ذلك وتوخوه ايضاً في التغزل بارض الحجاز ومدح اهل البيت
ولولم يكن شعره بالغاً حد الاعجاز في هذه الموضوعات لما ابقى ذلك الاثر في من اتى بعده من
شعراء الشيعة وكانت قصائده في رثاء الحسين مثال الكمال الشعري وقد اجاد كل الاجادة
فيها وكثيرون من الذين يتوجعون لمقتل الحسين يحفظون مراثي الرضي وينشدونها وقد حذا
حذوه في رثاء الحسين اكثر الشعراء الذين اتوا بعده ومن بعض شعره في رثائه قوله

(١) على (٢) طلى الاعناق والخرصان جمع خرص وهو القنطرة (٣) الماذي الدروع اللينة والسهلة
والسلاح كله واللب والدروع من الجلود

يا يوم عاشوراء كم لك لوعة ترقص الاحشاء من ابقاها
ما عدت الا عاد قلبي غلة حرى ولو بالغت في ابرادها

وكل قصائده التي من هذا القبيل غاية في حسن الانسجام ومثانة التركيب بل كل ما قاله في الرثاء ابداع فيه منتهى الابداع لان مقام الرثاء ابعد المقامات عن التنطس وليس فيه مجال للاغراب والانيان بالتراكيب المشوشة ولا يبغي فضلا في القلب للاشتغال بغير مناجاة الخيال . وعثرت في قصائده الرثائية على واحدة يرثي بها بنت سيف الدولة ابي الحسن علي ابن حمدان التي كانت تسمى نفية مصر وقد انتقلت اليها من الشام وكانت من فضليات النساء في قومها وقيل انها كانت تشغف بشعره فرثاها بقصيدته التي مطلعها

نغالب ثم نغلبنا الليالي وكم يبقى الرمي على النبال

وبين هذه القصيدة والتي رثي المنتني بها والدته سيف الدولة مشابهة في البحر والقافية وبعض المعاني ومطلع الثانية

نعد المشرفة والعوالي ونقتلنا المنون بلا قتال

وعلى الجملة فاني اري ان الشريف الرضي قد ابداع في اواخر ايامه اكثر مما ابداع في اوائلها وكان يشوب شعره في اوائله تعقيد كثير وتأنق على انه خفف من هذا الميل بعد ان اكتمل فصارت اشعاره مما يسهل فهمه ويقرب مأخذه وان من يتصفح ديوانه يتبين هذا الفرق بين شعره الاول وشعره الاخير فقد كان يعتمد الاغلاق في مبتدأ نظمه على ما يظهر وهذا دأب كل مبتدئ في نظم الشعر فانه يتعنى احكام الالفاظ الغريبة والابهام حتى ينسب اليه بعد الغور في اللغة والادب على انه اذا مضى عليه هذا الزمان فينضج فكره ويصبح يعنى بالمعاني دون المباني الا ما وجب منها الافصاح عن الفكر باحسن بيان وهذا يشبه ما حدث للمنتني ولغيره من الشعراء المجيدين

وعلى الجملة فقد كان الشريف الرضي شاعرا مولدا لكثير من المعاني حافظا لشوارد اللغة والفاظها والاكثر على انه من طبقة الشعراء المشهورين مثل الجعفري والمنتني وابي تمام ودبوانه من كتب الادب ويخلق بكل ادب ان يقرأه ويتقضى ما ورد فيه من مبتكرات المعاني ولطائف الاختراع في الشعر وبما حبذا لو انتحل من هذا الديوان الكبير مجموع صغير وشرح شرحا وافيا . مثلا شرح ديوان المنتني فيسهل فهمه ويعم نفعه

خليل يعقوب

اخوري

دمشق

السرطان

وخلاصة البحث عن سببه وعلاجه

يعلم قراء المقتطف انه تألفت لجنة من كبار العلماء في بلاد الانكليز في اواخر سنة ١٩٠٢ للبحث عن سبب السرطان وعن افضل الطرق لعلاجهِ وجمعت لها الاموال الوفيرة لتمكنها من هذا البحث. وقد اصدرت هذه اللجنة الآن تقريرها الثالث وضمنته خلاصة اعمالها وما وصلت اليه بعد البحث الدقيق والعناء الشديد ومفاده ان سبب السرطان غير معروف حتى الآن وحقيقته غير معروفة ايضاً ولم يكشف له علاج يمكن استعماله فيشفيه او يقي منه وخير الوسائل للنجاة منه حتى الآن نزعه بعملية جراحية

نعم ان اللجنة لم تكتشف علاجاً يمكن استعماله لشفاء الانسان من السرطان اولفايته منه ولا عرفت حقيقته ولكنها حققت اموراً كثيرة مما يرجح انه يوصل الى ذلك وسنبين خلاصة الامور التي حققتها في ما يلي وهي

اولاً ان السرطان كثير الانتشار جداً فقد حققوا ان الذين يموتون في بلاد الانكليز وسنهم ٣٥ سنة فاكثر يكون منهم رجل مصاب بالسرطان من كل احد عشر رجلاً وامراً مصابة به من كل سبع نساء اي تسع الرجال والنساء يموت بالسرطان فلا تكاد عائلة تخلو منه وفلما يجتمع عشرة الاو بينهم واحد على الاقل مصاب به . ولم يثبت حتى الآن ان هذا الداء آخذ في الازدياد كما زعم البعض ولا ثبت انه بين الامم المتقدمة بالتمدن الاوربي اكثر منه بين غيرهم من الامم . وقد زعم البعض انه نادر في بلاد اليابان ولكن الاحصاءات الحديثة اثبتت انه غير نادر بل هو كثير فيها كما في غيرها

ثانياً ان السرطان يصيب كل الحيوانات ذوات الفقار كما يصيب الانسان فلا تسلم منه الاسماك كما لا تسلم منه الحيوانات العليا حتى الانسان

ثالثاً ان اكثر حدوثه في الثلث الاخير من عمر الحيوان سواء كان عمره الطبيعي طويلاً او قصيراً

رابعاً لم يثبت انه ينتقل بالعدوى كالامراض المعدية فقد وضعت الوف كثيرة من الفيران المصابة به مع غيرها من الفيران السليمة منه في مكان واحد واستمر ذلك ست سنوات متوالية اي نحو ثلاثة اضعاف عمر الفار الطبيعي فلم تعد السليمة من المصابة

مطلقاً ولم يعد أحد من الناس الذين كانوا يجرون التجارب فيها . ويقدر ان في انكثرا ووبس نحو خمسين الفا من المصابين بالسرطان فلو كان معدلاً كالجدري لانتشرت العدوى منهم الى غيرهم وعمّ البلاء لكنّه ينتقل بالتطعيم اي ليس له ميكروب يمكن تجريبه من الجسم الحي ونقله من حيوان الى آخر كميكروب السل والكوليرا والتيفويد بل له ميكروب يبقى عالقاً بالجسم الذي هو فيه فاذا قطعت قطعة من ذلك الجسم اي من الورم السرطاني وطعم بها حيوان آخر اي زرعت في جسمه نمت فيه وأصيب بالسرطان . اما الناس الذين يظهر السرطان فيهم فلا يكون تولده فيهم بالعدوى وكذلك الحيوانات التي يظهر فيها من نفسه لا يكون ظهوره بالعدوى بل يتولد في الحالين تولداً على ما يظهر

خامساً ان انتقال السرطان بالتطعيم يكون على هذه الصورة : — اذا قطعت قطعة من ورم سرطاني في فارة وطُعمت بها فارة اخرى فبعض حويصلات تلك القطعة ينمو وبعضها يموت فالحويصلات التي تنمو هي الحويصلات السرطانية والتي تموت هي الحامل لها . والحويصلات التي تنمو تولد ورمًا سرطانيًا في الفارة الثانية فاذا قطعت منه قطعة وطُعمت بها فارة ثالثة اصابها ما اصاب الثانية اي ماتت الحويصلات الحاملة ونمت الحويصلات المحمّلة المتولدة من الحويصلات السرطانية . وتختلف الحويصلات الحاملة باختلاف الاورام السرطانية اما الحويصلات السرطانية نفسها فلا تختلف على ما يظهر ولكنها لا تستطيع ان تعيش من غير الحويصلات الحاملة لها

سادساً . ان السرطان لا ينتقل من حيوان الى آخر من غير نوعه فلا ينتقل من الفار الى الجرذ ولا من الجرذ الى الفار بل ينتقل من الفار الى الفار ومن الجرذ الى الجرذ سابقاً ان نسبة الورم السرطاني الى ميكروب السرطان او الى الحويصلات السرطانية كنسبة المشيمة الى الجنين اي ان الورم يغذي الحويصلات السرطانية لا غير ثانياً ان الاورام السرطانية المختلفة لا يستحيل بعضها الى بعض كأن الحويصلات السرطانية لا تولد الا نوعها

تاسعاً ان صغار الحيوانات اقبل من كبارها لان تنطعم بالسرطان مع ان السرطان يظهر من نفسه في الكبار اكثر مما يظهر في الصغار . ونريد بالصغر والكبر هنا السن لا الجسم عاشراً اذا اختلفت تنوعات النوع الواحد من الحيوان عسر على الحويصلات السرطانية ان تنتقل من نوع الى آخر في اول الامر ثم يسهل عليها ذلك بعد حين فقد طعموا فيراناً انكليزية بمادة سرطانية من فيران دناركية فلم يصب منها بالسرطان في اول مرة الا خمسة

في المئة ثم نقلت المادة السرطانية من هذه الى غيرها من الفيران الانكليزية فزاد فعلها رويداً رويداً واخيراً صار السرطان يظهر في ٩٠ في المئة من الفيران المطعمة كأن في جسم الحيوان شيئاً يمنع بعض الدقائق السرطانية من النمو فيه ولا يمنع البعض الآخر فتزول الاولى وتنمو الثانية وتكاثر وتستأثر بالحيوان

حادي عشر انه يمكن جعل الجسم غير قابل لنمو الحويصلات السرطانية وذلك بان يطعم الحيوان بمادة سرطانية مأخوذة من حيوان اخر مثله مصاب بالسرطان عند اول ظهوره او بنسيج سليم من حيوان سليم . وتستمد الوقاية في الحالة الثانية اذا تماثل العضوان كما اذا طعم ثدي فارة سليمة بمادة من ثدي فارة اخرى سليم او مصاب بالسرطان في اول ظهوره . وما يصدق على الفارة يصدق على الجرذ ولكن الفارة لا تقي الجرذ والجرذ لا يقي الفارة . والمادة السرطانية المأخوذة من السرطان الجلدي مثلاً تقي من غير السرطان الجلدي ايضاً ولكن وقايتها من السرطان الجلدي اتم وقس على ذلك بقية انواع السرطان . وقد ظهر ان بعض انواع السرطان متشابه وبعضها متخالف فالمتشابه يقي بعضه من بعض والمتخالف لا يقي او ان وقايتها قليلة

ثاني عشر ان الحيوانات التي لا تُعدى بالسرطان لا يخرج منها مصل يقي منه او يشفي منه . ولا يوجد حتى الآن مصل يشفي من السرطان بعد ظهوره ونموه . والام التي لا تُعدى بالسرطان لا تنتقل المناعة منها الى نسلها كما يحدث في الدفثيريا فالوقاية من السرطان المشار اليها آنفاً خاصة به ولا مثيل لها في غيره من الامراض المعدية . والظاهر ان الحيوان الذي يوقى من السرطان لا يعود جسمه قادراً على تقديم الحويصلات اللازمة لنمو حويصلات السرطان فتموت تلك الحويصلات لقلة الغذاء او تضعف وتفتقر خلايا الجسم المعروفة بالفوغوسيت التي تفترس الاجسام الغريبة والميكروبات المرضية وتنجي الجسم منها . ولا يعلم كيف تتم هذه الوقاية في الجسم كله ولكن ما تقدم يفسر لنا كيف يشفي السرطان لذاته احياناً ويدعو الى الامل بالوصول الى طريقة لعلاج وشفائه اولوقاية الجسم منه

ثالث عشر انه يمكن جعل الجسم شديد القبول للسرطان كما يمكن جعله غير قابل له فاذا نما فيه ورم سرطاني سهل نمو ورم آخر سرطاني آخر فيه . ولذلك لا يسهل ان يوقى حيوان ظهر السرطان فيه كما يسهل ان يوقى حيوان لم يظهر السرطان فيه

هذه اهم الامور التي رأينا فائدة من اقتطافها لقراء المقتطف وهي تدل على ان البحث عن حقيقة السرطان وعلاجه لم يزل في دائرة الامتحان ولم يخرج الى دائرة العمل حتى الآن والظاهر ان العلماء المشتغلين بهذه المباحث قد امتحنوا كل العلاجات التي وصفت للسرطان

فلم يحدوا لها نفعاً حقيقياً ولكنهم وجدوا أمراً لا يستطيعون إنكاره وهو ان السرطان يشفي أحياناً لذاته فان كانت حوادث الشفاء المنسوبة الى بعض العلاجات الجربية صحيحة وتلك العلاجات لا تفيد دائماً الفائدة المنسوبة اليها فذلك يشير الى ان الشفاء حدث في الحالين من سبب آخر ولعله فعل نفساني يقوي دقات الجسم على التخلص من دقائق الداء

اما ما قيل من فائدة التطعيم فهو السبيل العلمي المفتوح الآن لاكتشاف طريقة لمعالجة السرطان ولا يبعد ان يصل العلماء به الى الغاية المطلوبة في هذه السنة او التي تليها لان دائرة البحث قد ضاقت واتجهت الى هذه الجهة . وتبقى الصعوبة في امتحان التطعيم الوافي في الناس فاننا لا نظن ان احداً يسلّم بان يُطعم بمادة سرطانية على امل انها تقي من السرطان بعد ذلك كما توفى الفأرة بالتطعيم ولا من يميز ذلك لان التطعيم قد يعدي الانسان ولا يقيه . ولا وجه للتطعيم بمادة غير سرطانية حيث لا دليل على احتمال تولد السرطان . ولكن يُحتمل ان يتطوع احد الاطباء المعتقدين صحة التطعيم لامتحان التطعيم فيه ومتى ثبت ان التطعيم قد وقاه من السرطان اي لم يعد السرطان يظهر فيه ولو طعم به يقشدي به غيره من الذين ثبتت لهم فائدة التطعيم الى ان يشيع ويصير الناس يقدمون عليه من انفسهم كما يقدمون الآن على التطعيم الوافي من الجدري . ويحتمل ايضاً ان تبيح الحكومات امتحان التطعيم الوافي من السرطان في المحكوم عليهم بالقتل . والاحتمالان بعيدان واقرب منهما ان تكشف طريقة لشفاء السرطان بالتطعيم بعد ظهوره كما تُشفي الدفثيريا ولا صعوبة حينئذ في الامتحان

وانا نرى في المباحث العلمية امراً غريباً تختصر به الطرق الطويلة الشاقة فانك تجد جمهوراً كبيراً من العلماء يبحث في جهة واحدة ويحقق ويدقق كأنه قصر نظره عليها دون سواها وقصد ان يستقصيها الى آخرها واذا بعالم آخر او عويلم قام في جهة اخرى واكتشف امراً جديداً لم يكن في الحسبان او انتبه الى حقيقة قديمة اغضى عنها غيره من العلماء فوصل بها الى الغرض المطلوب من اقصر سبيل كما فعل مورس في اختراعه التلغراف المنسوب اليه وكما فعل مركوفي في اكتشافه التلغراف الذي لا سلك له . وعسى ان يوفق الناس الى اكتشاف الدواء الشافي او الوافي من هذا الداء الويل سواها كان بالبحث والتقصي او بالعثور والاتفاق

افتتاح الجامعة المصرية

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان من افتتاح الجامعة المصرية ووعدنا بنشر بعض الخطب التي تليت حينئذٍ لأنها تدلُّ على منهاج التدريس فيها

خطبة عبد الخالق باشا ثروت احد اعضاء مجلس الادارة

قال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي

ان تاريخ الجامعة المصرية لصحيفة من صحف مآثركم الجليلة بل هو لسان صدق ينطق بما في نفوسكم الشريفة من الميل العظيم لرفي البلاد واسعادها

وان نهوض الامة الى احياء العلم لوشي تلقته عن ارادتك العالية . فلا غرو ان أخذت حركة العناية بنشر التعليم تنمو وتزداد الى ان عمت جميع الطبقات واقبل الناس اقبالا محمودا على انشاء دور العلم وتسبقوا الى تشييدها

الا ان الامة المصرية لم تقف بها عند هذا الحد رغبتها في بلوغ الدرجة المبتغاة لها بين الامم الراقية بل تطلعت الى ما هو اسمي من ذلك من درجات التعليم

نظرت فاذا التربية العملية في مصر الآن لا تزال ترمي الى اعداد ناشئة تقوم بمحاجات البلاد وتخرج شببية يشتغل كل منها في فنه وصناعته وان دائرة التعليم قد قصرت لذلك على القدر الضروري للوصول الى هذه الغاية فخلت البلاد من منهل علمي يستقي منه طلاب المزيد عن هذا القدر

رأت ان حاجة الامة الآن الى علماء راسخين في العلم ليست بأقل من حاجتها في الازمان السابقة الى متعلمين عاملين وانه قد حان الوقت لتخرج شببية تأخذ بيد الامة فتحملها المقام الذي يجب ان يكون لها بين الامم الراقية ذلك المقام الذي لن تناله الا اذا اقبل ابناؤها على العلم حباً في العلم ولم يقتصروا منه على ما يستفتحون به ابواب الكسب والارتزاق رأت ان العلماء في البلاد الاخرى يكادون يأتون في كل فرع من فروع العلم بالمعجزات فكمن من مبكرات نخالها خلقاً مناوياً جديداً جاءنا خبرها من اوربا وغيرها ونحن نكتفي من ذلك البحر الزاخر بمضة الوشل ! وكم من مخترعات مبدعات وآيات بينات ففتح الله بها على اولئك العلماء وحظنا منها حظ المتفرج !

رأت أنه من النقص ان تبقى مصر عالة على الامم بعد ان كانت تغذيها بالعلم والعرفان وان تظل في مثل هذا العصر خلوا من جامعة تصوغ لها طائفة تجيد ذكرها كما كان ذكرها مجدا في ماضي الايام والعصور الخالية

رأت كل ذلك وحق لها ان تراه وتندبره . فلا جرم ان قامت قومة واحدة تدعو الى انشاء تلك الجامعة

فولت وجهها بادي الرأي شطر الحكومة ونظرت في المسألة من وجهة الواجب عليها فرأت ان الحكومات في جميع بلاد الدنيا لا تستطيع وحدها النهوض بالامة من طريق التعليم وانه ليس من امة فقهت الى مثل ما فقهت اليه الامة المصرية من الحاجة العلمية الا واخذت بيد حكومتها في هذا السبيل وان الفضل في ترقية التعليم في البلاد الاخرى يرجع اكثره الى جمعيات اسست دورا للعلم وتكفلت في ادارتها واقتصرت مهمة الحكومة فيها على تفضيدها ومساعدتها بقدر الامكان

فلما احست الامة بما هو واجب عليها بازاء هذا المشروع توجهت عنايتها الى الحث عليه وتحقيق الغرض منه وهناك انقسم الناس الى مشطبر يخاف على المصريين ان يقدموا على هذا المشروع فيجبط عملهم فينالهم من العار ما كانوا في غنى عنه . ومستبشر يرى في يسر الحال وهمة المصريين وأريحية شمائلهم ما يحمل على الاعتقاد بان عملهم سيكفل بالفوز ويتوج بالنجاح

وقد دل الواقع على ان المصريين والحمد لله اهل لهذا الجهد المحمود فقد تبرعوا ولم يشتمهم عن العطاء شدة نزلت بالبلاد فاستحقوا لهذه الارحية عطف كل محب لترقية العلوم والمعارف بيد ان ما جمع من تلك العطايا المشكورة ما كان يكفي وحده لابرار هذا العمل الكبير من ظلمة الفكر الى نور الوجود

هنالك يا مولاي هبت على الجامعة وهي وليدة لا تعلم حياتها من موتها هبت عليها نفحة مباركة من تعطفاتك السامية . فدبت فيها روح الحياة فكان لا بد من ان تخطو وتدرج تفعلت حفظك الله فقبلت ان تكون الجامعة تحت رعايتك العالية وشرفتها برئاسة الامير ولي عهدك الكريم رئاسة شرف وبرئاسة صاحب الدولة عمك الامير الجليل احمد فواد باشا رئاسة فعلية وامرت رعاك الله فاجريت عليها اعانة سنوية

بفضل تلك الرعاية السامية وفي ظلها الوارف تكونت الجامعة ووضع دستورها واخذت لجنة ادارتها في البحث عن اقرب الطرق لاظهارها في الوجود وادخلها في طور العمل

ولما كان من الضروري ان يكون التدريس فيها باللغة العربية عولت اللجنة على ان تبعث
 براساليات الى البلاد الاوربية حتى اذا ما اتم اعضاؤها دروسهم واستقصوا العلوم التي
 انقطعوا لها هناك عادوا نقاموا بالتدريس باللغة العربية كل في علمه الذي اخص به
 وقد اوفدت الجامعة لهذا القصد الشريف في اوائل الصيف الماضي جماعة من خيرة
 النابغين من الشبيبة المصرية وهم الآن مغتربون في ربوع تلك الاقطار المتناثية لتحصيل العلم
 العالمي وادخاره ليوم رجوعهم الى مصر فيرونها بعلمهم وتعليمهم كما يربوهم بعنايتهم بتربيتهم
 ويكونون عدتنا واساطين جامعتنا في نيل امانينا

ولما كان تحقيقي هذا المقصد يستلزم زمنا طويلا فتعجلا بالفائدة تقرر ان يقوم من
 الآن بعض العلماء بتدريس بعض العلوم التي لم نذل الى الآن في مصر حظا وافرا من العناية
 مع ما لها من الاهمية والاثرا الحسن في ترقية المدارك واثارة البصائر

ولما كان من المحقق ان جميع الامم عند ما تأخذ باسباب النهضة لا مندوحة لها عن
 محاكاة الشعوب التي اصابها اوفر قسط من الحضارة الراقية وكان الاخذ عن امة من الامم
 يوجب الوقوف على اساليبها ودرجة تصوراتها وكيفية تدرجها في ترقيا فقد اختارت الجامعة
 ان تمشي مع ذلك الناموس الطبيعي بتلقين الطلاب فنون الادبيات عن الامتين الكبيرتين
 اللتين انتشرت لفتنهما بين المصريين انتشارا كبيرا فقررت تدريس علوم الادبيات عند
 الفرنسيين وعند الانكليز كذلك رأت من اول الواجبات عليها ان يكون في مقدمة ما
 يدرس في جامعة مصرية تاريخ الحضارة القديمة في مصر والشرق وتاريخ الحضارة الاسلامية
 تلك الحضارة التي لا يزال اهل الفضل من كل الامم الراقية يذكرونها مقرونة بالاعجاب
 والاحترام . ومن اولي من المصريين بالوقوف على حقائق هاتين الحضارتين لتحقيق نهضتهم
 الحالية واسترجاع ما كان لاسلافهم من مجد عظيم ومقام كريم

وها نحن اولاء نجفل اليوم باول خطوة شخطوها الامة المصرية لترتقي الى مستوى الامم
 الناهضة . نجفل بوضع اول درجة من سلم العروج الى اوج العزة والفخار

فاليك يا سيد البلاد واميرها ترفع الجامعة فروض الشكر والثناء على ما اوليتها من نعم
 حققت بها آمال المستبشرين وامنت بها روع المتطيرين الخائفين

وان كل محب الخير ببلاد لا يخط لك في سويداء فؤاده ذكرى تشريفك هذا الاحتفال
 متوجا نعماك السابقة باعلان رضائك السامي عنها وفقك الله لتحقيق ما ترجوه لامتك من
 الخير والسعادة واتم نعمته عليك من التوفيق والسداد

خطبة احمد زكي بك احد اعضاء مجلس الادارة وسكرتير الجامعة

مولاي

بلادك مهد الحضارة والعرفان

لذلك كان حقاً على الجامعة المصرية ان تستفتح بتوجيه الانظار الى مفاخرها في قديم الزمان والى مآثرها في دولة الاسلام : تمهيداً لما نرتجيه من النجاح في خدمة هذه البلاد وفي اعادة العلوم الى لسان العرب الذي وعها واستوعبها في ايام هارون والمأمون تلك الامنية العالية سنحقق للجامعة بفضل الله لانها مرموقة بعناية العباس

ازهرت الحضارة على ضفاف النيل الفناء وابنت ثمراتها في عهد الفراعنة الاقدمين وها هي بقايا آثارهم تمدتنا بما بلغوه من المكانة العليا في تحصيل المعارف والاجادة في كل انواع الفنون والصنائع . ولا يزال اهل البحث والاستقراء يكشفون لنا في كل يوم من خفايا علومهم ومخزون اسرارهم ما يقضي بالعجب العجيب ويشهد لهم بالاسبغية والرجحان انتقلت الحضارة الى الاسكندرية في عهد البطالسة فكانت دار العلم والتعليم وحفظت لبلادنا في سجل التاريخ تلك المزية التي تفردت بها مصر في العالم القديم . وكللتها بتاج من الفخار ما زال بهاءه ساطعاً رغماً عن تصاريف الزمان وعبت الايام جاء الدور للاسلام . فرفع رايته على المشارق والمغارب . واخرج من بطون الرمال الذهبية مدينة القاهرة التي قامت على اثر طيبة ومنف وعين شمس وصارت كعبة للعلم ومنهلاً يزاحم عليه طلاب الفضل وعشاق المعالي

كما كانت اثور تسابق مملكة الفراعنة في احراز السيادة السياسية وتوسيع دائرة المعلومات البشرية كذلك ظلت باسم العراق تجاري وادي النيل في هذا المضمار عند ما اشرفت عليها معاً انوار الاسلام . ولقد بلغت المناظرة الادبية والمزاحمة العلمية بين القاهرة وبغداد حداً يقضي بالدهشة والاستغراب . اذ كانتا نخطافان اهل العلم وكتب العلم استثنائاً بالفضل واهل الفضل . حتى ان ابناء العراق اوفدوا رجلاً اتفق مع احد علماء مصر فاشترى منه عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب العربية وهي ثلث مجموعته . وانصل الخبر بوزير مصر الافضل فقام وقعد واستكبر هذا الخطب واستنكره . وقال : كيف تحرم مصر من ذخائرها واعلافها وكيف ترضي بتجردها من حللها وحليها وهل يصح انتقال كنوزها الى غيرها

وفنحن أحق بها وأهلها أعرف الناس بقدرها ؟ تأله هذا لا يكون أبداً . ثم بعث من ماله الخاص الى العالم المصري بجملة الثمن الذي ساومه عليه رسول العراق ونقل الكتب الى خزائنه وكتب عليها القاب

أمة هذه عناية فرد من علمائها وتلك غيرة واحد من رؤوسها لا يبعد عليها ان يكون في دار خلافتها مكتبة جامعة عدها اهل الدراية من عجائب الدنيا . وقالوا انه لم يكن في بلاد الاسلام اعظم منها . وغير الاسلام في ذلك الوقت لم يكن شيئاً مذكوراً . بلغ عدد المجلدات في هذه المكتبة النادرة ٦٠٠٠٠٠ مجلد . وقد ضاعف بعضهم المليون فجعله اثنين . وكانت تحوي ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري البغدادي منها واحدة بخط المؤلف . وكان فيها ٦٥٠ جزء من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة و ٨٠٠٠ كتاب في علوم الاقدمين . فضلاً عن كرة من النحاس تمثل السماء بكواكبها من عمل بطليموس القالوذي صاحب المجسطي واخرى من فضة صنعها عبد الرحمن الصوفي الفلكي المشهور للملك عضد الدولة البويهى . وهذه الكرة من ذخائر بغداد التي استحوزت عليها مصر كما امتازت ايضاً بمجازاة تاريخ الرسل والملوك الذي كتبه الطبري بخط يده . فهل يكون من العجب اذا قلت ان الخليفة الفاطمي كان يكثر من التردد على مثل هذه المكتبة البديعة فيجي إليها راكباً ثم يترجل عندها ويجلس على دكة مخصوصة فينظر في كتب العلم ويستعير منها ما يستفيد منه . وكان من نقاليده انه بعد فراغه من المطالعة يدخل اليها ويمشي فيها لتشجيع الطلبة بالمخالطة وحضهم على الاثقان بالمجاسة والموانسة

تلك ايام قد خلت

ولكن التاريخ ما زال يعيد نفسه على الدوام . ولذلك ترجو الجامعة المصرية ان تعيد هذه الايام كرة اخرى . وما ذلك على الله بعزيز



هذا كان شأن الشرق من حضارة الاسلام . ولكن الغرب لم يكن اقل منه حظاً . فلقد قضت نواويس العمران ان الحضارة تنولد وتنمو على شواطئ البحار وخصوصاً على مجاري الانهار . فكما كان لها شأن كبير في ايام الاقدمين والاسلاميين على ضفاف النيل ودجلة والفرات كذلك كان للحضارة الاسلامية اثر مشكور على شواطئ الوادي الكبير فلقد كانت قرطبة قاعدة الاندلس عروساً في بلاد الغرب ومنبعاً للعلم والفضل حتى افاضت على ديار اوربا تلك الاشعة الاولى من علوم الاسلام . اشعة استنارت بها في ابواب نهضتها اثناء

القرون الوسطى وكانت كمقدمة تمهيدية لما وصلت اليه الآن مما صير الغرب مشرقاً لنور العلم والتقدم في هذه الايام

ماذا اقول عن قرطبة وقد اطبق العارفون على انها كانت اكثر بلاد الدنيا كتباً ؟ أو لم بأنكم حديث الفيلسوفين ابن رشد وابن زهر حينما تناظرا بمحضرة المنصور بن يعقوب ملك المغرب في المفاضلة بينهما وبين اشبيلية ؟ قال ابن رشد لصاحبه وهو يحاوره : " ما ادري ما نقول . غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها . وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية "

وفي هذا المقام لا ارى مندوحة عن التذكير بان الاسلام لم يكن خلواً من الجامعات فقد اشتهرت بغداد بكثرتها وان كان لها نظام غير المؤلف الآن . واشهرها المدرسة النظامية فقد تخرج بها اهل العراق صنيع المصريين الذين سبقوهم بتأسيس الازهر المعمور . غير ان القاهرة لا تزال تفتخر به الى الآن . وكذلك كان في البلاد الاخرى التي بسط الاسلام عليها رايته حينما من الدهر جامعات اخرى مثل التي كانت في بلرم حاصمة صقلية وفي القيروان بتونس وفي معظم مدائن الاندلس . بل قد اوجدها في غير البلاد التي دانت لسلطانها فان فرنسا مدينة للعرب بتأسيس وانجاح احد معاهدها العلمية الكبيرة . واعني به مدرسة الطب في مونيبييه . هذه المدرسة التي لا تزال زاهرة يانعة الى الآن مع ان الجامعات الاسلامية قد دخلت في خبر كان . نعم فان عرب الاندلس ويهودها هم الذين ادخلوا التعليم الطبي اليها وقد استمر فيها مدة اربعة قرون تقريباً واساسه تأليف ابن سينا وابن رشد وقسطا بن لوقا وحنين وابنه اسحاق وابن ماسويه والرازي حتى كانت سنة ١٥٧٦ للميلاد فاستبدل القوم اساتذة المشرق بالمعلمين اليونانيين عند ما عثروا على تصانيفهم الاصلية التي احدثى العرب بنبرامها

وهذه مصر حينما شرعت في اعادة العلوم الى حظيرتها اوفدت عدداً كبيراً من ابنائها لاغتراف العلم في مونيبييه من ذلك المعهد الذي يعود فخاره الحقيقي الى اجدادنا الكرام . وها هي اليوم تستقدم الاساتذة من انكلترا واطاليا ومن غيرها من البلدان التي امتازت بالعلم والفضل

والايام دول ونواميس الكون اخذ وعطا

نرجع للاندرلس ونقول ان اهلها قاطبة قد توفروا على العلم لذاته وللذاته . لا فرق في

ذلك بين الغني والفقير والصعلوك والامير . بل كانوا كلهم سوامية في التهمات عليه وعلى اقتناء الكتب لا للافتخار ولكن للذاكرة والمحاضرة . ولم يكن هذا الولوج قاصراً على عامة الناس بل شاركهم فيه ملوكهم ايضاً . فان الخليفة الحكم جمع لنفسه مكتبة خصوصية احتوت على ٤٠٠ . ٠٠٠ مجلد كلها من النفائس والغرر . هذا عدا المكاتب العمومية الحافلة التي ازدانت بها قرطبة وغرناطة وأمهات المدائن بالاندلس

فادا رجعنا ادراجنا الى بلاد الشرق رأينا للاسلام في بلاد الشام هذا الاثر المحمود ايضاً . وحسبي ان اشير الى المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار فانها بلغت ٣٠٠٠ . ٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار . كما ابادت الفتن مكتبة القاهرة وكما دمر الترمكاتب ببغداد التي كانت فوق الوصف والتعريف وفانت كل ما سبقت الاشارة اليه . احرق هؤلاء الحمج تلك المجاميع الثمينة وخالطوا كثيراً منها بالطين والماء واستخدموا هذه العجينة الغريبة في بناء جسر (كوبري) للورور على نهر دجلة

تلك ايام قد خلت

فهل تعود للجزيرة بهجتها السابقة وحضارتها الفائقة

هذا ما نتمناه من صميم الفؤاد خصوصاً وقد اخذت اسباب الاصلاح والعمار تتراجع الى ما بين النهرين في هذه الايام

بماذا نقدم الاسلام

بالرحلة في طلب العلم وتقييم اوابده ونشر فوائده

فقد كان المسلم رهين الاسفار كما هو شأن الامم الراقية الآن . كان المسلم كلما فارق دياره ولو على سبيل الكسب والتجارة فكأنما هو موكل بالاكتشاف والاستطلاع يحمل الى مايزوره من البلدان بضائعه المادية ومعها بضاعة اخرى غير مزجاة : بضاعة مضمون لها الرواج واعني بها ما وصل اليه من حقائق العلوم وطرائف الآداب . وكان لا يغفل عن ان يسجل في صحائف اسفاره ما يعثر به من ثمرات رقي القوم . حتى اذا انقلب الى اهله كان قد افاد واستفاد ونفع وانتفع وعلم وتعلم . وهذه فوائد اللغة العربية في السنة الامم المتمدنة شاهدة بما كان للمسلمين من الاثر الحميد في بلاد الامم الاخرى كما ان في الكتب والعلوم التي ابقتها

لنا نصارى الایام من تراث اجدادنا الكرام كثيراً من الاصطلاحات الاجنبية الدالة على رواج سوق المعارض العلمية وعلى ان اهل النهى والبعیدی الانظار لا يستنكفون من تبادل الثمرات التي يصلون اليها من طريق البحث والدرس

اما الآن وقد تعددت الصلات بين الشرق والغرب ومهمل تناول الفوائد العلمية بفضل البخار والكهرباء فمشكون جامعتنا ان شاء الله كحلقة اتصال بين العالمين حتى نأخذ بلا استكبار ما تلقفه الفرنج عن اجدادنا ونضيف الى سلسلة معارفنا حلقات جديدة لم يعرفوها وقد جاد بها الزمان على ما نقضي به نواميس الارتقاء

هذه هي امها السادة بعض الاسباب التي دعت هذه الجامعة الى الابتداء بالابتداء فقررت تدريس الحضارات الاسلامية والقدیمة وأضافت اليها ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا

نعم ان الشرق عاد بعد تلك الحركة الهائلة الى سبات عمیق فنزل الى الخفيض . وبعد ان وقف في مكانه ساكناً جامداً اخذ الآن يتنبه ويحرك حركة خفيفة . فابصر المعارف قد نرقت في بلاد الغرب الى درجة تتضاءل دونها القوى والافهام . احست ام الشرق بما يهددها من خطر الجود والوقوف واصبحت كلها وهي شاعرة بالحاجة الماسة الى تلقي ثمرات العلوم التي وصلت اليها اوربا وتمثيلها بما يوافق طبيعتها ومزاجها . فكانت اليابان في الشرق الانفى اول من نفى غبار الكسل والخلول ووصلت في نصف قرن الى درجة الامم الراقية بل بذت كثيراً منها . وها هي الامة المصرية في الشرق الادنى قد ادركت ايضاً هذه الحاجة فهبت عن بكرة ابیها وتعاون ابنائها لاحراز الفخار بالنسبي في إعادة القطر الى مجده السابق . فامست الجامعة المصرية التي ستمثل على ارجاع اللغة العربية الى مقامها الجيد في ميدان العلم وفي حلبة الامم

كيف لا نتوصل الجامعة المصرية لتحقيق هذه الغاية الكبيرة وقد هبت عليها نفحة من نفحات مولانا العباس : نفحة تضمن لمصر والاسلام عودة تلك الايام الزواهر التي ازدان بها عصر بني العباس

فبسم الخديوي عباس تفتح الجامعة ابوابها للناس



مستقبل البلاد العثمانية

من خطبة اعزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم حسابات السودان تلاها في الخرطوم ليلة الاحفال بافتتاح مجلس المبعوثان العثماني في ١٧ ديسمبر الماضي

ابناء وطني الكرام

اسمحوا لي اول كل شيء ان اشكر لكم حسن ظنكم بي لانتخابكم اياي لارثس هذا الاجتماع لان كلاً منكم احق بالرئاسة مني . فان دعوتكم هذه التي اسعدني الحظ بتبليغها من تني مروراً مضاعفاً . سروراً بالغاية التي اجتمعنا من اجلها واشركتني معكم في الاجتماع وسروراً لانها ضمتني وفريقاً كبيراً من خيرة اخواني الذين مكنتهم احوالهم الخصوصية وعلاقاتهم العائلية والمادية ان يهجروا البلاد السورية العثمانية كما هجرتها انا إما فراراً من الجور في زمن العسف والاستبداد او سعياً وراء الرزق وقد ضاق فيها على كل عزيز نفس يأبى ان يعيش متملقاً لحاكم مستبد او خادماً لاغراض ذي نفوذ ديني او سياسي يأتمر بأمره ويميل حسب امياله مع علمه انها اميال ففسانية او اغراض ذاتية مضطراً ان يوالي من لا يريد موالاة وان يعادي من لا يريد معاداته يصبح بالذي امسى فيه مكتئباً مغلول اليدين ولسان حاله يردد ما قاله ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدواً له ما من صداقته بد
يروح ويفدو كارهاً لوصاله
وتضطره الايام والزمن النكد

فعواطفهم عواطفني والمز الذي يتجرعونه في غربتهم مما صارت اليه بلادهم اتجرعهم مهموم ومضض العيش الذي يصبرون عليه انا فيه صابر عليه صبرهم من جميع وجوهه المختلفة شكلاً والمتفقة معني . والغريب في بلاد اذا كان في ضيق يعطف على الغريب نظيره الواقع في ضيق من نوع ضيقه ويسر باجتماعه معه ليكون وياه في الشدة اخواناً وعلى تفريقها اعداءاً مهما اختلفت مشاربهما فكيف به اذا لقي ابن وطنه وكانت بلواه نفس بلواه وشكواه نفس شكواه وكان اجتماعه به وداعاً لضيق مر وكان امر من الصاب واستقبلاً لسعادة بانت على الابواب . هذا هو شعوري وهذه هي احساساتي وقد ضمتني هذه الحفلة معكم

وغايتنا من اجتماعنا في هذه الحفلة ايها الاخوان ان نجني ليلة انس نفرح فيها في غربتنا بما نالته امتنا من النعمة والهناء بعد ان قضينا دهرنا طويلاً والصدور منقبضة والحزن مخيم على النفوس لا ينقضي نحس حتى تليه نحوس — قد اجتمعنا لنشترك مع باقي اخواننا العثمانيين

في جميع انحاء السلطنة العثمانية وغيرها حيث العثمانيون مقيمون في الاحتفال بافتتاح مجلس المبعوثان عنوان مجد الامة واساس تقدمها وفخرها او بعبارة اخرى بالنقل السلطنة من حكومة مطلقة استبدادية لا شأن للامة في تدبير شؤونها الى حكومة شوروية دستورية تديرها فئة من الامة تنوب عنها فتسن قوانينها وتنظم شرائعها بحسب الزمان والمكان وتضع للحاكم حدا لا يتعداه فهو يسير حسب ارادتها ولا تسير هي حسب اهوائه وهو خاضع لمشيئتها وليست هي خاضعة لمشيئته فلا يستطيع ان يظلمها ليزيد في نعمه ولا ان يفرحها ليزيد في غناه ويتمتع بكل ما تشتهي نفسه ولا يقيد افكارها ويحكم افواها كي لا يمارض في شيء ينويه او امراد ياتي به اذا اكثرت من الضرب على هذه النغمة او اطلت الكلام اكثر مما يحتمله المقام فلا عنقادي ان هذا الحديث مما لا تملة الصدور رغما عن قصور المتكلم وسوء تعبيره فانه منذ ٢٤ يوليو وهو اليوم الذي بعثت فيه الحياة في جسم السلطنة العثمانية والخطباء مئات والوفاء يخطبون في اجتماعاتهم الخصوصية والعمومية في كل انحاء السلطنة العثمانية والكتبة يكتبون في نشرات خصوصية وعلى صفحات الجرائد العربية والاعجمية ولا يزالون حتى الساعة على هذا المنوال . والمشهد انه لا يكتب كلمة في موضوع الحرية والدستور والمزايا التي اكتسبتها الامة في الحصول عليه الا وجدت من النفوس ارتياحا كانتها السحر الحلال — ولا يعقد اجتماع في هذا الصدد الا ويكون له من العثمانيين على اختلاف نحلهم وملهم كل اقبال والعجب انه ظهر في القوم من الخطباء والكتبة والشعراء ما لم يكن يحلم بوجوده قبل ان اطلق اعلان الدستور الاسنة والاقلام من عقالها . ولا شك انه سيظهر الاداري والمالي والسياسي والمهندس والفائد والمخترع والفيلسوف وقد انفسج المجال للكل في ميدان التقدم والعمران — والامل انه لا يمضي ربع هذا القرن حتى تصبح الدولة العثمانية من الدول العظام تفخر بادارة داخليتها وبجاليته وحربيتها وبحريتها وزراعتها وصناعاتها وتجارتها وتهاب سطوتها الدول العظام كما تهاب الواحدة منهن الاخرى في هذه الايام وآملنا هذه كما ذكرنا في تلغرافنا^(١) الذي ارسلناه اليوم معقودة بمجلس المبعوثان والماساعي

(١) هذه صورة التلغراف الذي ارسل

رئيس مجلس المبعوثان — الاستانة

العثمانيون هنا واكثرهم سوربون وارمن يحتفلون الليلة بافتتاح مجلس المبعوثان وبشركون مع سائر العثمانيين بالانتهاج في هذا اليوم السعيد ويقدمون بها تهنيتهم الى اعضاء المجلس لنيلهم ثقة الامة التي توجه اليهم انظارها وتعلق بهم آمالها وبوهم ان بمساعدتهم تهدع عناصر الامة وتنشر المبادي الحققة ويسسط لواء العدل والحرية والامن في انحاء السلطنة فتنهض الى اوج العز والمجد

التي سببها في هذا الشأن معضوداً من افراد الامة وجميع عناصرها في كل مكان
وهل اصلاح هذه السلطنة بالامر اليسير يا ترى بعد ان مرّ عليها هذا الزمن وفي
مرمّح للفساد فانفصل من اجزائها ما انفصل واعثلت ادارتها واخثلت مالياتها وبارت تجارتها
وانحطت صناعتها واهملت زراعتها وهجرها سكانها ونضاربت مشارب العناصر المولفة منها .
وهل هي قابلة للاصلاح وبلوغ درجة الارتقاء التي نرجوها لها اذا توفرت فيها الاسباب
لذلك - جوابي على هذه الاسئلة جواب عثماني يجب بلاده فلا يرى لها سوى مستقبل
باهر نلتحق فيه كل هذه الاماني

ولكني لا ادعي اني ملّم بكل مواضع الخلل وان كنت ملّمًا بكثير منها او اني اعرف
كل الطرق الكافلة للاصلاح وان كنت اعرف بعضها فان هذه تستلزم خبرة كبيرة باحوال
السلطنة لم انتهياً لي وتفصيلها اذا وفي حقّه من الاشباع يستغرق وقتاً طويلاً لا يحتمله هذا
المقام ولكني سأذكر شيئاً من اليسير الذي اعرفه عنها مما لي فيه خبرة اكثر من سواه
(المالية)

مالقنا حتى الآن ليس لها نظام يعرف ولا شكل معقول يوصف فقد شاءت الحكومة
الماضية ان لا تطمع الامة على دخلها وخرجها بل ان تدفع الامة الضرائب صاغرة دون
ان تنبس بينت شفة سائلة عن السبيل الذي تنفق فيه . يكسج العامل والزارع والتاجر
والصانع اثناء الليل واطراف النهار حتي اذا ما حصل شيئاً يقات به يومه ويدخر منه
لشيئوخذه جاءه جابي الاموال فابنز منه ما جمعه بعرق جبينه تحت اسماء مختلفة من الضرائب
والرسوم والعوائد فالتهم منها ما شاء وارسل الى الخزينة ما شاء . وما وصل الى الخزينة
كانت حكومة الاستبداد تنفق معظمه فيما حرّمه الله من السبل غير مصغية الى تبكيت ضمير
او استغاثة فقير

حالّه اذا لم تكن في ذاتها عجيباً فانما صبرنا فيها هو العجب
ولكن الذي يظنه الحبيرون هو ان دخل الخزينة العثمانية يبلغ نحو ١٨ مليوناً من
الليرات العثمانية يذهب منها نحو ثلاثة ملايين ونصف فائدة للديون التي اقترضتها الحكومة
فيما سلف ومقدارها نحو ١١ ملايين وقسم كبير لا يعلم مقداره الا الله كان ينفق على
الجواسيس والمتملقين وما بقي يستخدم قسم منه في دفع رواتب الموظفين الكبار وفي ما كان اضطرارياً
من نفقات الادارة والباقي في دفع رواتب صغار المأمورين وانفار الجند حماة الوطن الذين
لولاهم لما كانت الامة العثمانية على ما هي فيه الآن من النعمة - هؤلاء الجنود كانوا يتركون

اليوم بعد اليوم والشهر بعد الشهر والسنة بعد السنة وليس على اجسامهم سوى خرق بالية لا تقيهم حر النهار ولا تدفع عنهم برد الليل وهم لا يكادون يحصلون اليابس من الخبز بلا ادم ليحفظوا اجسامهم وارواحهم معاً . ولكن الامر العجيب الذي يفخر به العثمانيون في هذه الاحوال هو هؤلاء الجنود انفسهم فانهم رغمًا عن هذه المعاملة السيئة لم يفقدوا عزة نفوسهم ولا فترت همهم بل تحملوا الضيم صابرين وكانوا في كل معركة اتدبوا لها لحماية الاوطان موضوع اعجاب الصديق والعدو حتى شهدت لهم ام الارض انهم من اقوى جنود العالم بأساً واصعبهم مراساً واعظمهم شجاعة واشدهم اخلاصاً لدولتهم رغمًا عن الظلم الذي فاسوه وصوء الحالة الذي وصلوا اليه

كذا كانت الطريقة التي كان ينفق فيها دخل المملكة ولم يكن هذا الدخل يكفي نفقاتها فكانت في معظم السنين تفرض النقود من مصادر مختلفة سداً لعجز الميزانية وقياماً بنفقاتها الادارية حتى بلغ دينها ما بلغ^(١) وضاعت ثقة المالكين بها فلم تعد تستطيع ان تفرض درهماً الا بفائدة ثقيلة وبعد ان ترهن للحصول عليه شيئاً من دخلها او تنازل عن كنز ثمين من كنوز السلطنة فافترضت مليوناً ومئتي الف جنيه سنة ١٩٠١ بفائدة ٥ في المائة وثمانية ملايين سنة ١٩٠٢ وما يتيف على ٣٥ مليوناً سنة ١٩٠٣ ولكن القرضين الاخيرين كانا لتحويل بعض ديونها السابقة الى ما فائدته ٤ في المائة . وتمكنت من استخدام قسم منهما لسد عجز الميزانية في العامين المذكورين وسنة ١٩٠٤ افترضت ٢٢٠.٠٠٠.٠٠٠ لسكة حديد بغداد وسنة ١٩٠٥ افترضت نحو ثمانية ملايين جنيه لما رب شقي ذهب قسم كبير منها كما ذهب سواءه سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٧ افترضت نحو تسعة ملايين جنيه تحويلاً لبعض ديونها السابقة ايضاً ولكنها استخدمت قسمًا كبيراً من هذا القرض في سبيلها المعهودة . وفي

(١) يبلغ دين الحكومة العثمانية نحو ١١٠ ملايين ليرة عثمانية منه نحو ١٦.٠٠٠.٠٠٠ ليرة مضمون بالجزية التي تدفعها مصر للدولة ومقدارها ٧٥٠٠.٠٠٠ ليرة عثمانية ونحو ٨٠.٠٠٠.٠٠٠ ليرة مضمون بقسم كبير من موارد دخلها ونحو ١١.٠٠٠.٠٠٠ غير مضمون على ما يظهر . وفي الاستانة ادارة مخصوصة للديون العثمانية اشبه بشيء بصندوق الدين المصري وهي تستولي على ريع الموارد المربنة وتدفع منه الفائدة لارباب الديون والموارد المربونة هي رسوم الملح والمشروبات الروحية وورق التبغ وحلقات الاسماك والمحبر والتبغ وجزية الرومي وبعض رسوم الكمارك ونحو ذلك والدخل من هذه الموارد يقدر باكثر من ثلاثة ملايين ومائتي الف ليرة عثمانية

ولا شك انه متى ظارت ميزانية الحكومة في السنة الاولى بعد انعقاد مجلس المبعوثان تمكن الامة من معرفة حقيقة دخلها ونفقاتها ومقدار دينها والكييفية التي اتفق بها

اواخر سنة ١٩٠٧ واول سنة ١٩٠٨ كانت ساعية في عقد قرض آخر لكي تدفع به عنها بعض نتائج نفقاتها غير مبالية بالحالة التي ستجرها اليها هذه الديون ما دام الاستحصال عليها يعطيها نفقات اليوم ولا يهمها امر المستقبل
هذه حالتنا الى امس فما الذي نأمل ان نراه في القريب العاجل مهمة مجلس المبعوثان وعضد الامة له كما سبق الكلام

(الزراعة)

من المعلوم والتاريخ اصدق دليل ان كل بلاد انتهت الحكومة فيها الى موارد ثروتها وامنت الزارع على زراعته والصانع على صناعته والتاجر على تجارته والمتملك على عقاره فرفعت الضرائب الجائرة وابتقت ما كانت خفيفاً عادلاً وبسطت راية العدالة والمساواة في الحقوق بين افراد الرعية صارت تلك البلاد الى التقدم سيراً عظيماً لم يكن يقدر لها فتمت تجارتها وزادت ثروتها اضعاف ما قدره لها المصلحون والمتفائلون لها بالخير. ولست احتاج ان اذهب بعيداً لشواهدى فهذا السودان الذي نحن فيه رغماً عن رماله المحرقة واهمال اكثر اراضيهِ وقلة سكانهِ وما خرب الدراويش منه والاحوال الخصوصية التي تقضي على مصلحيهِ ان لا يظمحوا باصهارهم في الوقت الحاضر الى النيل لري اراضيهِ ولا يسمحوا بزراعتها شيئاً يعود بالضرر على مالية القطر المصري كزراعة التبغ مثلاً زادت ايرادات خزنتهِ في اقل من عشر سنوات ثلاثين ضعفاً اي من ٣٥٠٠٠ جنيه الى ما ينيف على مليون جنيه وزادت قيمة وارداته وصادراته معاً من نصف مليون جنيه الى ما ينيف على مليونين ولا يبعد ان يكون عدد سكانهِ قد تضاعف لو امكن تعدادهم في الماضي واليوم والامن فيه سائد يسير الغريب كيف شاء في طولهِ وعرضهِ حيث بسطت الحكومة ظلمها فاذا لم يؤذره الوحش لا يناله اذى. كل ذلك نتيجة مہر حكام نزهاء يسعون في سبيل الاصلاح وهذه مصر جارتنا وكلنا يعرف تاريخها الحديث منذ ربع قرن الى اليوم — فان ايراد خزنتها رغماً عن تحفيض الضرائب المستمر زاد من تسعة ملايين جنيه الى ١٦ مليوناً في ١٩٠٧ وقيمة صادراتها و واردتها معاً زادت من ١٩٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٨٠ الى ٥٤ مليوناً سنة ١٩٠٧ وارضها الزراعية زادت في هذه المدة اكثر من مليون فدان ومحصولها من القطن ارتفع من مليونين وربع مليون قنطار الى نحو سبعة ملايين قنطار وبلغت قيمته في ١٩٠٧ نحو ٢٣ ٦٠٠٠٠٠ جنيه وعدد سكانها الذي هبط في عهد الحكومات الاستبدادية من ٨ ملايين الى نحو ٣ ملايين عاد فارتفع في عهد الاصلاح الى ان بلغ احد عشر مليوناً وربع مليوناً.

كل هذه حقائق ثابتة تثبتها السجلات الرسمية وكنت احب ان اورد سواها ولكن هذين الشاهدين يكفيان لنعلم حالة البلاد العثمانية ومستقبلها عليهما اذا بدأت فيها يد الاصلاح ان مساحة البلاد العثمانية في اوربا واسيا وافريقيا في الوقت الحاضر عدا ما انفصل عنها من البلدان نحو مليون و ١٥٨ الف ميل مربع^(١) وهذه المساحة تزيد على مجموع مساحات انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا واسوج ونروج واسبانيا واليابان معا وفيها من الاراضي الزراعية ما يكفي اضعاف اضعاف سكانها الحاليين فان فيها قامت اعظم دول الارض منذ عهد التاريخ فالكلدانيون والبابليون والاشوريون والسامونيون والفرس والعباسيون نقلوا عليها فعمروا واستعمروا واثروا وكانت الارض تفيض لهم لبنا وعسلا والمظنون ان وسائل الري لم تكن متيسرة لمهندسي تلك الازمان كما هي متيسرة لمهندسينا هذه الايام ويكفي ان اذكر ان بين الفرات ودجلة فقط منطقة من الارض طولها ٩٠٠ كيلومتر ومساحتها نحو ثلاثة عشر مليون فدان اي ضعفنا اراضي مصر الزراعية وهذه المنطقة ذات تربة خصيبة قل ان تفوقها تربة في العالم وهي المنطقة التي زارها منذ امير غير بعيد السر ولم ولكنكس ووضع فيها تقريره المشهور فابان فيه الطريقة اللازمة لاصلاح الري هناك ووصف حالة التربة وصفا مستوفيا وذكر ما يصلح للزراعة فيها من المزروعات التي تعود بربح وافر فتعني الامنة والحكومة معا . ولكن تقريره هذا بقي حبرا على ورق شأن كل مشروع حميد في عهد الحكومة الماضية حتى انقلبت فقامت الحكومة الدستورية اليوم غيرة على البلاد راغبة في الاصلاح فتمسكت بذلك المشروع وسواء مما طرح في زوايا الاهمال في العهد القديم واستدعت السر ولیم ولكنكس صاحبة كما هو معلوم ليستوفي درسه ويخرجه من حيز القول الى حيز الفعل . وقد اتفق لي قبل تركي مصر اني قابلت صديقي يوسف افندي افيتموس المهندس الشهير فاخبرني انه طالع ما كتبه السر ولیم ولكنكس في هذا الصدد بالتدقيق وعلمت منه ان كلا من نهري الفرات ودجلة يصب في الثانية نحو ثلاث مائة متر مكعب من

(١) مساحة الاملاك المحررة للدولة العثمانية وعدد سكانها كما يأتي

| اميل مربعه | عدد السكان بوجه التقريب |
|------------|-------------------------|
| ٦٥٢٥٠ | ٦٢٠٠٠٠ |
| ٦٩٢٦١٠ | ١٧٧٠٠٠٠ |
| ٢٩٨٩٠٠ | ١٠٠٠٠٠ |
| ١١٥٧٨٦٠ | ٢٤٩٠٠٠٠ |
| | والجملة |

المياه مدة التجاريق وتزيد هذه الكمية الى خمسة آلاف مدة الفيضان أي ان كلاً من النهرين يصب من المياه مقدار ما كان يصب النيل قبل عمل الخزان . وفي المنطقة التي سبقت الإشارة اليها فصل حار يدوم زهاء ستة اشهر في السنة وهو كافٍ لزراعة القطن وقصب السكر . والارض كما سبق القول ذات خصب عجيب ينمو فيها كل ما ينمو في البلدان الحارة وصرف المياه منها اهون من صرفه من ارض مصر كما تبين بالتخليل والدرس

فهذه بقعة واحدة في بلادنا العثمانية كافية لان تخرج لنا بعد اصلاحها واصلاح ريفها ضعفي ما تربيته مصر من حاصلاتها . وغير هذه البقعة بقاع اخرى اذا لم تكن واسعة نظيرها فهي ليست بقليلة الشأن في زيادة ثروة السلطنة ولقد ذكر لي يوسف افندي كثيراً منها في البلاد العثمانية ولكنني لست اشير الا الى المعروف منها لاخواني السوربين فان في الحولة نحو ١٥٠٠٠ فدان مغمورة بالمستنقعات يستطاع تجفيفها واصلاحها بنفقة قليلة وهذه الاراضي اخصب تربة من ارض مصر وتصلح لزراعة القطن والبن وقصب السكر والحبوب على انواعها وتبعد عن خط سكة حديد حيفا نحو ثلاثين كيلومتراً فقط . وبين صور وصيدا بقعة من الارض يبلغ طولها نحو ٤٠ كيلومتراً وهي من اجود الاراضي تربة ويمكن ريفها بعمل قناطر تجز على نهر القاصمية والمشروع لا يقضي نفقة تذكر بالنسبة الى الفائدة التي تنجم عن ري هذه الاراضي . وهو الان يدرس هذا المشروع درساً مدققاً ولا يبعد ان يتولى اخراجه من حيز القول الى حيز الفعل وعند النهر الكبير والنهر البارد قرب طرابلس الشام اراض متسعة يمكن ريفها بسهولة من هذين النهرين وهما لا يبعدان عن طرابلس اكثر من ثلاثين كيلومتراً ومثل ذلك يمكن ري اراض كثيرة متسعة قرب حمص من بحيرة قريبة منها

ويطول بي الوقت اذا اسميت في ذكر ما يمكن ريفه من الاراضي وهو لا يروى الآن وفي اصلاح ري كثير من الاراضي التي تروى رياً غير مستوفٍ ولكنني اكتفي بما ذكرت يائناً لما يمكن عمله لاصلاح الزراعة في المملكة العثمانية وكل من يعلم انه اذا تقدمت الزراعة زادت ثروة البلاد واتسع نطاق تجارتها وزاد عدد سكانها وتحسنت مالية حكومتها وساد الامن فيها لان الفلاح متى اثرى اصبح محافظاً على الامن والسكينة من طبعه ليمتتع بماله وثروته

(المعادن)

هذا من حيث الزراعة وعدا هذه فان البلاد ولا سيما المنطقة الواقعة منها في اسيا غنية بمعادنها فان فيها كثيراً من المعادن المعروفة التي تعود عليها بالثروة اذا انتبه الى استخراجها ولكنها محالة لاسباب شتى ففيها معدن الكروم ويستخرج منه الآن من بقعة واحدة عرف وجوده

فيها نحو ١٥٠٠٠٠ طن سنوياً. وفيها الرصاص الفضي والزنك والمنغنيس والانتيمون والنحاس فان في ارغني في ولاية ديار بكر منجماً من النحاس يقول الخبIRON انه من اكبر مناجم الدنيا واغناها وفيها البورق والذهب والفضة والزرنيخ والسنبادج والزئبق والحديد والكبريت والرخام على اختلاف انواعه. وفيها الفحم الحجري واهميته في الصناعة وفي نجاح البلدان لا تحتاج الى بيان. فان في هرقله على البحر الاسود منجماً يستخرج منه سنوياً نحو ٤٠٠٠٠٠ طن ولا يبعد ان توجد مناجم غيره في بقاع اخرى. وفيها منابع بتروك في اواسط وادي الفرات وفي اماكن كثيرة في اسيا الصغرى وعلى الشاطئ الشمالي من بحر مرمرا وفيها غير ذلك من المعادن التي لا شك انه في عهد الدستور يسهل على ارباب الاعمال والاموال استثمارها واستثمارها فتجري منها ميازيب ثروة على البلاد والحكومة. ومتى اثرت البلاد وتحسنت مالية حكومتها امكن تنظيم داخلتها واصلاح جيشها وعارمتها البحرية وترقية جميع شؤنها

(المستقبل)

فالاصلاح اذاً ميسور والبلاد قابلة له من حيث اراضيها الزراعية ومعادنها وهواؤها واستعداد سكانها للتقدم فقد نبغ منهم في كل زمان افراد ظهر منهم من الهمة والذكاء في جميع الفنون العلمية والادبية والصناعية والسياسية ما يمكن اتخاذه دليلاً على ان الامة لا تحتاج الى مساعدة الاجانب طويلاً حتى تصير غنية عنهم بابنائها في كل ما يلزمها - واني امرح نظري في عالم الخيال وانظر الى ما يمكن ان نصير اليه المملكة العثمانية في المستقبل فتجلى امامي مملكة عظيمة الشأن قوية الاركان تضاهي بعظمتها وضخامة ملكها اعظم ما وصلت اليه دول الارض فيما سلف من الزمان من الكلدان الى الرومان واليونان والانكليز في هذه الايام. فاري ايراد خزينتها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات كاياد الخزينة البريطانية لا ثمانية عشر وقيمة صادراتها نيفاً وخمسمائة مليون من الجنيهات كقيمة صادرات بريطانيا ومستعمراتها لا خمسة وعشرين مليوناً كما هي الحالة الآن واري لها جنوداً ضخماً تحفوقه رايات النصر ابنا سار فيه المسلم والسيبي والاسرائيلي على السواء من تركي وعربي وارمني وسوري وغير ذلك من العناصر المؤلفة منها السلطنة يحارب الواحد مكاتفاً الآخر وهو اخوه في الوطنية وشريكه في السراء والضراء وان خالفه ديناً ولغة واري لها عمارة بحرية تباهي بها عمارات اعظم الدول البحرية. والبحري فيها كالجندي في الجيش مدرب احسن تدريب على الحركات العسكرية لابس احسن لباس يقبض رانبة في حينه وتعني الحكومة بطعامه وشرايه وراحته كما يعني الاب بينيه واري التعليم الزامياً في كل انحاء المملكة والمدارس منتشرة فيها من علمية وطبية

وزراعية وصناعية وصناعنا العثمانيون يحوكون ما تلبسه على اختلاف انواعه وهم يبنون دورنا ويشيدون قصورنا ويصنعون وينسجون كل ما نحتاج اليه من الاثاث والرياش وسائر الادوات التي في المنازل والقصور ويخترعون ويضعون كل ما يلزم للزراع في زراعته والكتاب في كتابته والتاجر في تجارته والصانع في صناعته والجندي والبحري في دفاعهما عن الاوطان ولكل عامل في عمله معها كان - وارى العثماني عزيزاً مكرماً في عين الاجنبي فلا تداس حقوقه لضغفه ولا يستخف به لانه تركي او سوري او رومي او ارمني علماً من الاجنبي ان ليس له دولة ذات شأن تدافع عنه او جند عظيم قوي يهب لحمايته والدود عن حقوقه ولا يساق مكشوقاً في قلب السلطنة العثمانية الى السجين اذا اخنصم مع اجنبي ويترك الاجنبي يسرح ويمرح ريثما يحصل التحقيق الابتدائي وارى الجنسية العثمانية فخراً وعزاً يمسك العثماني بها تمسك الانكليزي بانكليزيته والفرنساوي بفرنسويته والالماني بالمانيته ولا يسعى كما كانت الحالة حتى امس وراء حماية دولة من هذه الدول العظام ويصم نفسه وامته امامها وصمة الذل والعار لينجو من ظلم يلحق به من نفس حكامه العثمانيين الذين افسدت الحكومة السالفة اخلاقهم وارى عدد سكان المملكة قد نما فارتفع من ٢٥ مليوناً الى ٥٠ بل الى مئة مليون والمهاجرة من الاوطان التي حتى ٢٤ يوليو كانت مئة كل انسان اصبحت اثراً بعد عين بل ارى انه قد عاد النازحون الى اوطانهم من سورين وبونانيين وارمن واتراك على اختلاف طبقاتهم وتنوع الاسباب التي هاجروا من اجلها وهي وان اختلفت صورة كان مرجعها الى الاستبداد^(١) اراهم كلهم قد عادوا من جميع اطراف الارض من اوربا واميركا واستراليا ومصر والسودان والصين والهند واليابان حيث تنتاب فقيرهم الامراض وكل ضروب الذل التي ترافق الفقر وتنتاب ذا اليسار منهم انواع اخرى من الذل لا نقل عن ذل الفقر بل قد تكون آلم وامرّة

واري حكام المملكة من اكبر وزرائها الى اصغر عامل فيها يضرب بهم المثل في الهمة والنشاط والنزاهة والكل يتفانون في خدمتها وحب الاصلاح دينهم بعد الله العدل والمساواة

(١) تصعب معرفة عدد المهاجرين من المملكة العثمانية منذ اخذ يدب الفساد فيها الى آخر عهد الاستبداد ولكنه لا شك يبلغ عدداً كبيراً فان النازحين من لبنان وحده وهو من الولايات الممتازة يبلغون نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس تأهيك عما نزع من باقي السلطنة العثمانية التي كانت يد الظلم ايسر وصولاً اليها واشد فتكاً باهلها فقد اخبرني احد اعضاء جمعية تركيا الفتاة ان عدد الذين نزحوا من السلطنة العثمانية ان فتكت بهم ايدي الما بين وعماله في عهد الحكومة المحمدية فقط لا يقل عن المليونين

بين الرعية وديدهم العمل لزيادة ترقيةها المادية والادبية وارى مجال التقدم متسعاً لافراد الامة على اختلاف اجناسهم واديانهم والمساواة في الحقوق عامة فلا يقام حاجزٌ حصين بين النابغ منهم واعظم مراكز الدولة لانه مسيحي او عربي او ارمني او سوري او غير ذلك كما كان يقام في وجهه في اكثر الولايات العثمانية اذا لم يكن تركياً او صنيعة المايين

هذه هي المملكة ايها السادة التي اراها في الخيال للعثمانيين في الاستقبال فهل نتحقق هذه الآمال ام تذهب كلها كأنها اضغاث احلام . كل ذلك يتوقف على مجلس المبعوثان وعلى ما اذا كان وراءه امة حية تعضده وقد بدأت تذوق طعم الحرية فتؤيد مطالبته وتبذل في الوصول الى هذه الغاية كل ما عزه وهان

هذه آمالنا التي نعيش عليها الآن وشئان بين هذه الآمال الحية وما كانت عليه آمالنا بالامس . ولن الفضل في ذلك كله الفضل فيه الى ضحايا الحرية وشهداء النهضة الدستورية منذ ايام السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز الى يومنا هذا ولا سيما اولئك الابطال الذين لم يرهبهم الوعيد ولا غرتهم الوعود بل قاموا ينتصرون للدستور والحرية تحت خطر الموت منذ فُضَّ مجلس المبعوثان الاول . فلنشر على ذكرهم وذكر الجيش ولنقل جميعاً ليحيى ابطال الحرية وليحيى الجيش العثماني ولنقم لهم التاثيل في كل انحاء السلطنة اقراراً منا بفضلهم الى الابد واعتراكاً بحميلهم المرسوم على الصدور باحرف من نور ومثالاً لابنائنا من بعدنا يقرأون تاريخهم ويقتفون آثارهم اذا لاسمح الله عاد للظلم عصر في ايامهم وطمحت ابصار حكامهم للاستئثار بالسيادة والعبث بحقوق الامة

ويجب الآن ان ننسى ايضاً فضل الامة البريطانية في هذه النهضة العثمانية فقد كان لها يد قوية في هذه الحركة تقوى بها الاحرار واشتد ازهرم فمنعت عنهم مطاعم الدول الطامعة فيهم وساعدتهم في الفوز بامنيتهم ففازوا بها دون ان يشور ثائر الثورة في البلاد وتراق دماء الالوف من العباد وهذه الامة اشتهرت في كل عصر بحب الحرية ونشر مبادئها وعضد طالبها في كل صقع استطاعت لمساعدة اهليها سبيلاً وما هب العثمانيون في طلبها حتى هبت لنجدتهم ووقفت في وجهه من رام عرقلة مساعيهم . والحق يقال انه لولاها لما كانت نتيجة هذه النهضة باهرة كما نراها ولعلنا لم نكن في هذه الآمال التي نبنيها للاستقبال فلنشر على ذكرها هذه الكاس وندع لها بالبقاء ولرايتها بالفوز ولصدافتها للعثمانيين بالدوام . فلنعتش الامة البريطانية

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

ذوات الظلف والحافر والخف^(١) UNGULATA

البقر الاهلي Bos taurus

الفوز^(٢) (هندية معربة) E. & F. Gaur Bos Gaurus. نوع منالبقر الوحشي^(٣) وهو في حجم الجاموس وشبيه به

الجيال (هندية معربة) E. & F. Gayal Bos frontalis. نوع من

البقر الوحشي الهندي

الجاموس (معرب كواميش بالفارسية) E. Buffalo. F. buffle Bos bubalis.

حيوان من جنس البقر وهو اكبر من البقر الاهلي واصعب مراساً منه . والجاموس الداخن اصله من الهند ويوجد منه اصناف وحشية في افريقية

البيسون (معربة) E. & F. Bison B. bonasus & B. americanus

جنس من البقر الوحشي يوجد منه نوعان احدهما اوروبي والآخر اميركي وهما نادرا الوجود الآن وكادا بنقرضان

الضأن Ovis aries. E. Sheep. F. Mouton

الأزوية. الضأن الجبلي. الكبش الجبلي^(٤) E. Barbary Ovis tragelaphus.

الأزوية الضأن الجبلي F. Mouflon à manchette ou aroui wild-sheep or arui.

وهي ادماء اللون وعنقها وصدرها مكسوان بصوف طويل ولها قرنان اعقفاق اقصر من قرني الوعل وذنبها اطول من ذنبه وهي من الضأن لا من الماعز كالوعل وتوجد في شمال افريقية حيث تعرف بالأزوي وفي جبال القطر المصري الشرقية والسودان الشرقي وجبال سينا^(٥)

(١) الظلف للبقرة والظبي والشاة والحافر للفرس وغيره من الدواب والخف للبعير بمثله الظفر للانسان
 (٢) تعريب دائرة المعارف (٣) المقصود بالبقر الوحشي هنا ان هذه الحيوانات من جنس البقر Bos الا انها وحشية وهي خلاف البقر الوحشي المعروف عند العرب فهو ليس من البقر بل من الطيأ الكبيرة وسياتي ذكره (٤) مفردات ابن البيطار (٥) انظر قاموس الكتاب المقدس لسمت
 صفحة ١٤٦ ولفظه مهاء في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست



الوعل اي المعز الجبلي



الاروية اي الضأن الجبلي



الماربة او الوضيبي



المهامة

حيث تعرف بالكبش وكانت كثيرة الوجود في جبال المقطم على مقربة من القاهرة وصيدت واحدة منها عند ابواب المدينة منذ نحو مئة سنة^(١)

والأروية في كتب اللغة الانثى من الوعول وهذا ما جاء عنها في لسان العرب قال
"الأروية ... الانثى من الوعول ... قال ابو زيد يقال للانثى اروية والذكر ارويّة
وهي نبوس الجبل . ويقال للانثى عنز وللذكر وعل ... وهو من الشاء لا من البقر ...
وهي الاياكل وقيل غنم الجبل " . واطال في البحث عن اصل هذه اللفظة ووزنها ووزن جمعها
بما استغرق اكثر من صفحة ولم يصفها بغير ما ذكرت . وفي غيره من كتب اللغة مثل ذلك
تقريباً ووصفها مشوش لا يفهم منه هل هي حقيقة انثى الوعول لانهم قالوا ان اللفظة تطلق
على الذكر والانثى وقالوا انها شاة الجبل وغنم الجبل . ولا يخفى ان الشاء والغنم يطلقان على الضأن
والماعز . وعندى ان الاروية خلاف الوعل فهي ليست انثى الوعول كما قالوا بل حيوان قائم
بنفسه يعرف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر . فالضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب ولا يزال
معروفاً عندهم ولا يعقل انهم يتركونه بلا اسم خاص به مع ان للتيس الجبلي اسماً كثيرة
منها الوعل والبدن والتالب الخ . والاروية شبيهة بالوعل فالتيس امرها على اللغويين وقالوا
انها الانثى من الوعول وخصوصاً لانها في صيغة المؤنث . والتذكير والتأنيث عندهم كان
موقوفاً في غالب الاحيان على كبر الحيوان او كبر قرنيه فقالوا الشيهم ذكر القنائد لانه اكبر
منها اولان شوكة اطول وقد مرت بنا ان الشيهم حيوان قائم بنفسه وهو خلاف القنفذ وقد
ورد ذكره في ابن البيطار على حدة ولم يقل عنه انه القنفذ بل قال الشيهم ويسمى الضرب
وهو صحيح . وقالوا ايضاً ان الابل ذكر الوعول وذلك لانه اكبر ولان قرنيه اكبر من قرني
الوعل ومشعبان . وقالوا اليامور ذكر الابل والحقيقة انه حيوان قائم بنفسه . ولدينا امثلة
كثيرة خلاف ذلك في اللغة . وعندى ان عرب البادية لا تخطئ بين هذه الحيوانات
فالخطأ من الذين نقلوا كلامهم فالبديوي الذي عرف ثلاثة انواع من الظباء وهي الادم
والعفر والارام وهي اسما لم تزل معروفة عند العرب لهذا العهد كما سيحي لا يخطئ بين
الضأن الجبلي والمعرز الجبلية . وقد سألت اعرابياً من المطرية عن الكبش الجبلي وهل يوجد في
جبال مصر الشرقية فاجابني بالايجاب فقلت له لعلك تقصد البدن (اي الوعل) قال البدن
شيء وكبش الجبل شيء آخر

وتعرف الاروية بهذا الاسم في وقتنا الحاضر ويسمونها عرب شمال افريقية الأروزي

ونقل الافرنج هذه اللفظة عنهم ومحوها Arui او Aroui او Lerwee ومن امتائها عند علماء الحيوان Ovis lervia واللفظة الاخيرة مأخوذة من لفظة الاروي العربية على ما اظن. وقد جاء في كتاب التاريخ الطبيعى الانكليزي ما تعريبه " يظهر ان لفظة اوداد المستعملة في كتب التاريخ الطبيعى غير معروفة في البلاد التي يوجد فيها هذا الحيوان بل يسمونه الأروى (١) " Arui " وورد ذكر الاروي في رحلة الدكتور شو في شمال افريقية وقال ان العرب يسمونه Lerwee اي الاروي ويظهر ان العلماء في ايامه لم يعرفوا حقيقة امر هذا الحيوان فسماه Tragelaphus وهو الاسم الصحيح الذي يعرف به الآن لكنه ظنه من الماعز والمعروف عند العلماء الآن انه من الضأن ورحلة الدكتور شو هذه منذ ٢٠٠ سنة تقريباً . وورد ذكر هذه اللفظة ايضاً في كتاب فرنسوي (٢) طبع حديثاً فتجد فيه صورة الضأن الجبلي وتحتها ما تعريبه " وهذا الحيوان الجبيل يسمى الأروى بالعربية " . وقد ظن بعضهم ان الاروية نعاج الدست اي نعاج الصحراء المقصودة بقول الشاعر

تجذنه من نعجات ست سود نعاج من نعاج الدست

والغالب ان الشاعر يقصد نوعاً من بقر الوحش فان اناها تسمى نعاج الوحش ونعاج الرمل والاروية اي الضأن الجبلي لا تسكن الرمال والصحاري بل الجبال فقط . وكانوا يصيدون نعاج الوحش على النوق ويسمون الناقة السريعة التي تصاد عليها نعاج الوحش الناعجة فلا يمكن ان يكون المقصود بنعاج الوحش الضأن الجبلي لان النوق لا تسلك الجبال التي يقم فيها . واما وصف الشاعر لها بالسواد فلم اقدر ان افهمه فلا البقر الوحشي اسود ولا الضأن الجبلي اسود

وقد جاء في التوراة (تث ١٤ : ٥) ذكر حيوان اسمه زمر بالعبرانية ويظن علماؤها انه الضأن الجبلي فان صح ذلك وجب ان نترجم هذه اللفظة بالاروية لا بالهامة لان الهامة نوع من بقر الوحش كما سيجي

المفنون (٣) (فرنسوية معربة) E. & F. Moufflon Ovis musimon نوع

من الأروى يوجد في كورسيكا ومردينيا

The Royal Natural History, II. 232 (1)

Les Animaux Vivants du Monde, I, 223 (٢)

(٣) تعريب احمد فارس

Capra nubiana. E. Ibex or wild-goat. F. Bouquetin **الوعل**

نوع من المعز الجبلي وهو آدم اللون وله قرنان قويان منحنيان كسيفين احدين يلتقيان حول ذنبه من اعلاه ويعرف في صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي بالبدن ووعل عيسو وفي سينا وبلاد العرب بالبدن والوعل وله بالعربية اسماء كثيرة غير هذين الاسمين تجدها في الجزء الثامن من المخصص لابن سيده . وقد ورد ذكر الوعل في التوراة وهو يعمل بالعبرانية واللفظان العربي والعبراني من التوعل اي الصعود في الجبال^(١) وهو مرسوم على الآثار المصرية واسمه وعي^(٢) بالهيروغليفية واللفظة كما لا يخفى مشابهة للاسمين العربي والعبراني وقد نرجم بعضهم لفظة Stag الانكليزية بالوعل وهو خطأ فهذه اللفظة تطلق غالباً على ذكور الايائل ويجب ان نعرب بالآيل مثل لفظة Hart

C. aegagrus. E. Beozar goat F. Egagre **البزل** . البازن (فارسيستان) . الوعل الفارسي

نوع من الوعل الفارسية وهو الحيوان الذي يستخرج منه البازهر الحيواني ومن اسمائه عند الافرنج Pasen و Paseng وكلاهما من بازن الفارسية . والبزل في كتب اللغة عنز وفي الالفاظ الفارسية المعربة ان هذه اللفظة مشتقة من بازن الفارسية فان صح ذلك يكون البزل نفس الحيوان المسمى بازن عند الفرس والافرنج وهو الوعل الفارسي

والبازهر وفيها لغات يعرف عند امراء لبنان بحجر السم وهو مادة حجرية توجد في جوف هذا الحيوان زعم اطباء الفرس والعرب انه مضاد للسموم . وفي كثير من الكتب العربية انه يستخرج من بطون الايائل والحقيقة ان البازهر الاصلي يستخرج من الوعل ولذلك اسمه حجر التيس بالعربية (البرهان القاطع ومعجم ثولرس الفارسي) وهذا ما جاء عنه في كتاب الباهر في الجواهر للشيخ ابراهيم السويدي الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية قال " البازهر الحيواني يستخرج من بطون الاوعال الجبلية . . . ويسمى خرزة التيس نسبة الى المعز الجبلية " . وذكر المسيولكرك في ترجمة مفردات ابن البيطار نقلاً عن البيروني انه يستخرج من الوعل . وقد ذكرت ذلك لان الدميري في باب الآيل خلط بين الوعل والمارخور والآيل وقال ان البازهر يستخرج من بطون الايائل وظن النكولن جاكر ان الآيل هو Bezoar goat لعله ان البازهر يستخرج منه فترجم لفظة الايل Bezoar goat وحقها ان

Encyclopedia Biblica (١)

(٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال

ترجم Fallow-deer ولا لوم عليه في ذلك لان وصف الابل في الديميري مشوش جداً
وساوضح ذلك في باب الابل

Capra hirsuta. E. Goat. F. Chèvre الماعز الاهلية

Capra falconeri. E. & F. Markhor المارخور^(١) (فارسية)
الوعول الهندية زعموا انه يأكل الحيات ولذلك سمي مارخور بالفارسية اي آكل الحيات
المرعز^(٢) المرعزي C. angoriensis E. Angora
goat F. Chèvre d'Angora صنف من الماعز يوجد في

اسيا الصغرى وهو طويل الشعر ناعمة. وقد ورد ذكره في مفردات ابن البيطار لكنه لم يصفه
والمرعز في اللغة الشعر الذي تحت شعر العنز واللفظة مستعملة في وقتنا الحاضر في العراق والشام
ومصر والسودان لهذا الصنف من الماعز الاهلي ويقفني اهل السودان فراء المرعز ويلبسون بها

مروج دوابهم وجمالهم

Oreas canna. E. Eland. F. Oreas الأيلند (معربة)

الظباء^(٣) وهو من اكبرها جثثه وفي عظم الثور وله قرنات طويلان مفتولان. وظئله اواسط افرقية

المارمري^(٤) (سودانية) Strepsiceros E. Kudu F. Coudou نوع من

الظباء الكبيرة وهو احمر اللون ومخطط بخطوط بيض. للذكر منه قرنان كبيران لولبيان
والانثى جماء اي لا قرون لها. ومن اسماء هذا الحيوان في السودان النيات ففضلت لفظه

المارمري وهي مستعملة في جهات الرصيرص

B. Tragelaphus. E. Nilgau F. Nilgaut النلجاي^(٥) (معرب نيل كماو بالفارسية اي البقر الازرق)

نوع من الظباء الكبيرة. شبيهه بالبقر ازرق اللون لذكره قرنان صغيران والانثى جماء

بقر الوحش بقر الوحش في كتب اللغة وغيرها الابل واليحمور والوعول والنبتل

والمهاة الآات العرب خصوصاً هذا الاسم بثلاثة انواع من كبار الظباء كما يشهد بذلك

وصفهم للبقر الوحشي في اشعارهم كاييات النابتة التي ذكرها المقتطف وشرحها في الصفحة

١٩٠ من المجلد الثامن عشر واولها "من وحش وجرة موشي" اكارعه " فالابل واليحمور

من ذوات القرون المصنعة المشعبة واسماؤها العلمية معروفة كما سيجي وقد مر بنا ان الوعل

(١) تعريب المقتطف (٢) الظبي في اللغة الغزال المعروف وقد اطلق المقتطف هذه اللفظة على ما
يسميه العلماء Antelope قال. اطلقنا كلمة الظباء على الحيوانات المتجذرة الجوفة القرون التي يطلق عليها
علماء الحيوان اسم Antelopes ومنها الغزال وبقر الوحش الخ (مجلد ١٩ صفحة ١٨٨) (٢) تعريب
المقتطف (مجلد ١٩ صفحة ١٨٩)

من الماعز والعرب لهذا العهد لا يطلقون هذا الاسم اي البقر الوحشي الا على الظباء الكبيرة المجوفة القرون ولا يوجد من هذه الظباء سوى ثلاثة انواع في بلاد العرب وهي (Addax, Oryx, Bubale) والاخير منها يعرف بالثيتل في وقتنا الحاضر . بقي علينا الادكس والاركس ولها اسماء كثيرة بالعربية اشهرها الهاء وقد جاء في وصفهم لها انها بيضاء اللون وهذه الصفة تصدق على الادكس والاركس الا ان الاول منهما عيناه اجمل كما يتضح من مشاهدة الاثنين في حديقة الجيزة فاذا صدق ابن الجهم في قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري
ولا اظنه كاذباً تكون الهاء الحيوان المعروف بالادكس عند العلماء وهي الترجمة التي عول عليها القانون ترسرام والكلونل جايكر ولا ارى وجهاً لمخالفتها . اما الاركس فله اسماء كثيرة بالعربية منها المارية والميطلة والارخ الخ واللفظة الاخيرة تشبه كثيراً لفظة Oryx التي وردت في كتاب النعوت لارسطو ويستعملها العلماء لهذا العهد ولا اعلم اصلها فهل اخذها ارسطو عن الشرق كما اخذ غيرها من اسماء الحيوانات او هي يونانية الاصل ونقلت الى العربية **المارية . البهثة . الميطلة . الماري . اللاي . الارخ . الناشط** (١) Oryx beatrix

نوع من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب ببقر الوحش وهو ابيض اللون مع حمرة قليلة في العنق وله قرنان طويلان كسيفين احدين ويعرف في نجد والحجاز والعراق بالوضيحي (٢) لياض لونه على ما اظن وفي عمان بابي سولع (٣) واظن سبب ذلك ما ذكروا عن الجاهلية انهم كانوا اذا اجذبت ارضهم يأخذون اغصاناً من السلع (او السولع وهو نوع من الصبر) والعُسر (٤) ويعلقونها باذنان ثيران الوحش ويحدرونها من الجبال بعد ان يشعلوا النار في تلك الاغصان يستمطرون بذلك والسلع ما علق عليه السلع قال شاعرهم

لا در در رجال خاب معهم
استمطرون لذي الازمات بالعُسر
اجعل انت بيقوراً مسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر

فان صح رأيي تكون هذه التسمية ابو سولع من بقايا هذه العادة القديمة في الجاهلية . وبقر الوحش مرسوم على الآثار المصرية وسماء الباحثون المارية بالعربية . وظن بوخارت وترسرام وغيرها من علماء التوراة ان هذا الحيوان يسمى رثماً بالعربية والرثم بالعربية نوع

(١) لها اسماء كثيرة غير ما ذكرت فجددتها في المختص (٢) هذه اللفظة سمعتها من سليمان افندي البستاني وكان عنه حيوان منه وهي مذكورة في رحلة دوطي في بلاد العرب (٣) الكلونل جايكر

(٤) Aselepio gigantea

من الطباء الصغيرة في حجم الغزال المعتاد ويعرف بهذا الاسم لهذا العهد وصأبحث في ذلك عند ذكر الرئم

المهابة Addax nasomaculatus E. & F. Addax نوع من الطباء الكبيرة وهي بيضاء اللون مع سواد قليل في العنق ولها قرنان كبيران لولبيان وتعرف في المغرب بإبي عدس^(١) Abou Addas وذكر بلينيوس هذا الحيوان وقال انه يسمى Addace في المغرب واظنها لفظة بربرية الاصل وعربت بإبي عدس بعد دخول العرب . ولفظة المهابة هذه تشبه مأو بالمصرية القديمة ولا اعلم هل سميت بالمهابة لبياض لونها كما جاء في كتب اللغة او هي وماو المصرية من اصل واحد وقد ذكرها احمد بك كمال وقال لعلها المهابة
الدكتور امين المعلوف

الامانة سر النجاح

لما نشرنا القصة المعنونة تفوق العقول في الجزء الاخير من السنة الماضية عقبنا عليها بقولنا "يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع . . . فان الخداع يفسد اشرف المناقب ونجاح الخادع لا يفرق عن نجاح السارق" . وقد وقفنا الآن على خطبة للاستاذ جون برنر من اساتذة مدرسة ستنفرد الجامعة باميركا موضوعها "الامانة" القاها على تلامذة تلك المدرسة عساهم يدربون انفسهم على الامانة مستخدمينهم والذين يشتغلون معهم بعد خروجهم من المدرسة لانها سر النجاح . ومما قاله لهم ان الامانة افضل المناقب سواء كانت من الفرائز الطبيعية او من الملكات المكتسبة وهي على انواع يحسب ما تضاف اليه كالامانة للبداية والامانة للنظامات والامانة للجماعات والامانة للأشخاص . واسماها كلها الامانة للبداية الصحيحة فاذا اعتقد الانسان صحة امر فعليه ان يكون اميناً له مقيماً عليه . مما تغيرت الاحوال والشؤون وسواء انتفع من التمسك به او ناله منه ضرر

اما الامانة للنظامات والجماعات والأشخاص اي الامانة للذين نعيش معهم ونعاملهم سواء كانوا حكماً او شركاء او عسراء فليست في درجة الامانة للبداية الصحيحة سموها ولكنها ضرورية ايضاً وهي من لوازم النجاح في الاعمال ومن المناقب التي يجب ان يتحلى بها كل انسان ولا يعني منها الا اذا خالفت المبادئ الصحيحة . ويراد بالامانة في ما تقدم وما

بأنّي الاخلاص التام لمن يجب له الولاء مخدوماً كان او شريكاً او حاكماً
قال الخطيب المشار اليه مخاطباً اولئك التلامذة انكم حينما تُثبّون دروسكم وتخرجون
لمعاينة الاعمال فاما ان تُخدّموا او تُخدّموا فاذا استخدّمتم احداً وكنتم حكياء فاول صفه
تلفتون اليها ويكون لها المقام الاسمى في نفوسكم امانته لكم واذا وجدتم انكم لا تستطيعون
ان تأمنوه فلا يليق بكم ان تسلموه اعمالكم مهما كان ماهراً فيها . واذا استخدّمكم احد فهو
ينتظر منكم الامانة التامة وتكون اهميتكم لديه حسب امانتكم له . وجملة القول انه مامن
احد يريد ان يستخدّم رجلاً وهو يعلم انه غير امين له يخانه او يفشي اسراره او يغتصب
الفرص للانتفاع على حسابه

وحسبنا مثالا لما تقدّم القصة المشار اليها آنفاً قصة ذلك الشاب الرومي الذي استعمل
اموراً تختص بالشركة لنفعه الخاص فلو سألت مديري الشركة عن رأيهم فيه لقالوا انه
خدعهم وانه يتعدّز عليهم ان يأمنوا من كان مثله وهو نفسه لو استخدّم شاباً ثم علم انه يستخدّمه
كما خدع هو رؤسائه لا فضاء من خدمته حالا ولم يستخدّم من يعتقد انه غير امين له
بطّلع على اوراقه وتلغرافاته ويستعملها لنفعه الخاص . واذا انتفت الامانة من بين الناس
تعطلت الاعمال وبارت المتاجر والمزارع وفسد نظام الاجتماع

اي تاجر يستخدّم كاتباً وهو يعلم انه غير امين له او يستخدّم مديراً لتجارته وهو يعلم انه
لا يسعى جهده في ترويحها واي مالك يستخدّم ناظراً لزراعته وهو يعلم انه لا يبذل جهده
في خدمة الزراعة واستخدام العمال

قال احد الفضلاء ان الامانة اغلى ما يستخدّم اي ان ارباب الاعمال يفتشون عن
الامين ويعطونه اكبر الرواتب

وقال الخطيب رأيت بالامس كتاباً من مدير اكبر شركات المعادن يقول فيه ان من
يجن مخدومه لا يليق به الا المعول والرفش . اما انا فاقول ان المعول والرفش كثيران على
من لا يؤتمن . واصحاب الاعمال يفتفرون قلة الذكاء وقلة المهارة وقلة الحنكة ولكنهم لا
يغفرون قلة الامانة ولو مع الذكاء والمهارة والحنكة

واذا اشترك كثيرون في عمل واحد كما في الشركات الصناعية والتجارية وفقدت
الامانة منهم بعضهم لبعض فقد النظام وتعدّز النجاح لان اول شرط من شروط المشاركة
المعاونة على العمل والسعي في انجاحه من غير ان يفضل احد الشركاء مصلحة على مصلحة
شركائه في ما هم مشتركون فيه او في ما يكتسب من شركتهم اديباً او مادياً

قال الخطيب ورب معترض يقول انطلب من الشاب الحر الشائل ان يخدم غنياً متفطراً
ويتذلل له او يخدم شركة مستبدة وينحضع لارادتها، فاجيب كلاً والخادم الامين لا يضطر
ان يتذلل بل هو الذي يستطيع ان يرفع رأسه لان استقامة السيرة تجعل المرء يقف منتصباً
مستقيماً غير هيأب ولا وجل . واذا كان رئيسك مستبدّاً صعب المراس فاتركه ولكن لا
تخنه ولا تلوّث سمعتك بدنيئة تأنيها وخير لك ان تخرج من خدمته طاهر الذيل من ان
تبقى معه وتجنده وتخنه فتخسر من اخلاقك ما لا يثنى بهال
ثم ان الامانة لا تستلزم ان يخدع الانسان زبداً لكي يكون اميناً لعمرو ولا تستلزم ان
يسعى في مصلحة زيد ولو كان غير محق فيها

والذين يطلبون الامانة من مستخدميهم يجب ان يكون عملهم شريعاً يستحق ان يعملوا
به ويكونوا امناً له والّا فالامانة غير مطلوبة ولكن لما كان نظر الناس مختلفاً في تقدير
الاعمال من حيث وجهتها الادبية فقد يحسب المستخدم عملاً غير شريف وصاحب العمل
يحسبه شريعاً فاذا لم ير المستخدم وجه الصواب في عمل رئيسه فعليه ان يتركه وشأنه لعل
الرئيس على هدًى وهو على ضلال . فاذا كنت في خدمة احد ولم تستحل عمله فاتركه ولكن
لا يجوز لك ان تغدر به وتخنه بوجه من الوجوه وكذا اذا كنت مشتركاً مع جماعة في عمل ما
ورأيت العمل غير جائز في اعتقادك فاترك الجماعة وشركتها ولكن لا تخنها لانك قد تكون
مخطئاً في اعتقادك والخيانة خلة تلحق بك ويقع ضررها عليك . وما دمت مشتركاً مع الجماعة
فعليك ان تبقى اميناً لها

والامانة تجب على المخدم كما تجب على الخادم . تجب على رب العمل كما تجب على العمال
فيجب على المخدم ان يكون اميناً لخدمته وعلى رب العمل ان يكون اميناً لعماله . وهذه الامانة
المتبادلة هي سر نظام الاعمال ونجاحها ولا يحق للمرء ان يطلب من غيره ان يكون اميناً له
وهو غير امين لذلك الغير لانه يتعذر على المرء ان يكون اميناً لمن يمتنه او يفتابه . وما قيل عن
امانة الشريك لشريكه والخادم لمخدومه والمخدوم لخادمه يقال عن امانة المرء لشرائه بلاده
وقوانينها ونظاماتها واحكام الطائفة التي هو منها . والامانة المتبادلة كالحب المتبادل تزيل
المصاعب وتدوس على المشاكل وتربط الناس برباط واحد ولكن على الحكيم ابن الدهر
ان لا يتوقع من الناس فوق ما يستطيعون بل يغتفر الزلات والمفوات ويقول مع القائل
اذا انت لم تشرب شراباً على القذى ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

دولة آل عثمان

٤

السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح

خلف اياه السلطان مراداً سنة ١٤٥١ مسيحية الموافقة لسنة ٨٥٥ هجرية . وهو الذي فتح القسطنطينية وكانت قد بلغت حضيض الضعف . قال جودت باشا في تاريخه المشهور انه "حدث حينئذ نزاع مذهبي بين الاروام ووقع الضعف والوهن في امبراطورية الاسنانة حتى انه لم يبق للامبراطور من السلطة الا مجرد الاحشاش والرسوم والعادات البسيطة . ويروى ان وكلاءه لما بلغهم ان حضرة السلطان محمد خان الثاني بنى قلعة بوغاز كسن وسد عليهم خليج القسطنطينية اخنبطت عقولهم واضطربت افكارهم وعقدوا للمذاكرة في هذا الامر مجلساً كبيراً في ايا صوفيا فاخذوا يتزاحمون في اوقات الاجتماع على التقدم في الجلوس ولم يراعوا حقوقهم بحسب مراتبهم فادعى بهم ذلك الاختلاف الى التضارب بالكرامي على الرؤوس . وفتح الاسنانة وان كان ممكناً قبل هذا الاوان نظراً لارتباك احوال اهله فان عوارض الزمان قد حالت دونها ثم لما صار الامر الى حضرة ابي الفتح محمد خان المشار اليه تمكن من حل هذه العقدة وفاز بما كان يأمله وذلك انه في سنة ٨٥٧ جهز عساكر جرارة ومدافع عظيمة وزحف عليها من جهة ادرنه وفتحها . فاهتدت الدولة العلية بذلك الى مركزها الحقيقي واصبح حضرة الفاتح بعد ان تمت له لوازم السلطنة بهذا الفتح جديراً بلقب ملك الملوك . ولا يخفى ان سعادة الامة ناشئة عن اتحاد الكلمة واتفاق الرأي وكرم السجاياء كما ثبت في هذه القضية فان الروم كانوا على غاية القوة المالية والمعرفة بامور السياسة الدولية حتى ان اوربا استفادت منهم لما انتشروا فيها بعد فتح القسطنطينية لكن العثمانيين الذين كانوا شرذمة قليلة مقيمة في ضواحي الاناطولي غلبهم وما ذلك الا لدخول الفساد على اخلاقهم وشدة الشقاق بينهم فلم تنفعهم قواهم المالية ولا معارفهم السياسية . وبعد فتح القسطنطينية احرزت الدولة العلية في مدة وجيزة اسطولاً كامل العدة والذخيرة واستولى حضرة الفاتح على القريم وعلى قلاع ومواطن كثيرة في اسيا واوربا وضمها الى ممالكه وحيث كانت الدولة العلية تراعي جانب العلماء كانوا يؤمنونها من كل فج عميق واصبحت القسطنطينية في ذلك العصر داراً للعلوم والفنون .

هذا ما قاله جودت باشا في تاريخه عن فتح القسطنطينية وعن السلطان محمد الفاتح

واكتفى به . والظاهر ان السلطان لم يهتم باديء بدء بفتح القسطنطينية بل جدد عهود الصلح والصدقة مع امبراطورها وغيرها من اصحاب البلدان المجاورة وكان صاحب اثينا قد توفي لما توفي السلطان مراد فبعث اليها باين انطونيو اكسياجولي الذي كان مقيماً في بلاطه فاحتفل به الاثينيون من الروم الارثوذكس وزادوا ولاء العثمانيين . ووجه السلطان همه الى اسيا لان صاحب قرمان كان قد شق عصا الطاعة فما كان من الامبراطور قسطنطين امبراطور القسطنطينية الا انه طلب راتباً مضاعفاً للامير ارخان الذي كان اسيراً عنده فاغناظ السلطان من ذلك وعقد الصلح مع صاحب قرمان وارضى الانكشارية بالهبات لان عقد هذا الصلح حرمهم من الغنيمة وشرع في بناء قلعة على اضيق مكان في البسفور حيث لا يزيد عرضه على ٥٥٠ متراً وهو المضيق الذي عبر منه زركسيس ملك الفرس . وهذه القلعة المعروفة عند الاتراك بقلعة بوغاز كسن وعند الروم بالليموكيون اي قطعة الرؤوس حصن منيع مملك جدرانها ٢٥ قدماً وارتفاعها ٦٠ قدماً ويقابله على الجهة الاخرى من البسفور الحصن الذي بناه السلطان بايزيد واسمه اناطولي حصار فصار مضيق البسفور بين حصنين منيعين حتى يتعذر وصول المدد والميرة الى القسطنطينية من جنوى والبندقية

ولما رأى الامبراطور قسطنطين انه لا يستطيع المقاومة انجاز الى اللاتين وعزم على اعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية فارسل اليه البابا الكردينال ايسيدور وممثلي من الجنود ورئيس الاساقفة ليونارد . ورئيس الاساقفة هذا كتاب وصف فيه حصار القسطنطينية وكيفية فتحها . واحتفل باقحام الكنيستين في الحادي عشر من سبتمبر سنة ١٤٥٢ في كنيسة ابا صوفيا ودعي فيها للبابا والبطريرك غريغوريوس . فاغناظ اكليروس الروم الارثوذكس من الامبراطور واشتد الشجار بين الفريقين حتى قال الارشديوك لوقا نوتاراس امير البحر وقائد مدفعية الروم اننا نفضل ان نرى عمامة (السلطان) محمد في مدينتنا على ان نرى فيها تاج البابا . وكان للجنوبين والبنادقة اموال واملاك كثيرة في غلطة وبيرا فساعدوا الامبراطور للدفاع عن مصالحهم وكان الجنوبيون قد حصنوا غلطة واقاموا فيها برحبهم المشهور واتوا بسفينتين و ٧٠٠ جندي لمساعدته اما البنادقة فكانوا قد جددوا المعاهدة مع السلطان ولذلك امروا امير اسطولهم اوامر مبهمه حتى لا يؤخذوا بنقض عهدهم اذا دارت الدائرة على الروم . واتت عشر سفن من سفن البابا لكنها لم تعمل عملاً بذلك

وزحف السلطان من ادرنة في الثالث والعشرين من شهر مارس سنة ١٤٥٣ الى ان صار على نصف ميل من القسطنطينية وكان معه في ما قيل ١٦٥ الفاً من الجنود ولم يكن

عند الامبراطور لمقاومة هذا الجيش الجرار سوى ٤٩٧٣ من الجنود اليونانية المسلحة و ٢٠٠٠ من الغرباء من البنادقة والجنوبيين والكريتيين والرومانيين والاسبانيين . ونصب السلطان اثني عشر مدفعا كبيرا في الاماكن المشرفة على المدينة فجعلت تقذفها بالحجارة الكبيرة وثقل بعضها خمسة فناطير مصرية . واستبسل الامبراطور وجنوده ولكن بعض الرهبان تنبأوا للشعب ان الانراك يبلغون عمود قسطنطين امام كنيسة ابا صوفيا ثم ينزل ملاك من السماء ويطردهم ويبعدهم الى حدود بلاد الفرس فصدق كثيرون من الروم قولهم ولم يهتموا بالدفاع عن مدينتهم وكانت النار اليونانية قد منعت السلطان اولاً من مهاجمة المدينة ولم يستطع ان يصل اليها بسفنه فجر السفن على البر واتزلها في المكان المعروف الآن بقاسم باشا وبيعت جنوده المدينة ودخلتها عنوة ليلة التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٤٥٣ واعملت السيف في اهلها وقتل الامبراطور مع من قتل ووجدت جثته بين جثث اعوانه وكان السلطان قد عرض عليه التسليم وامنه على حياته فابى مفضلاً الموت في سبيل الدفاع عن بلاده وقطع رأسه ووضع على قمة عمود بوسثينيانوس وقيل انه ارسل الى الولايات الامسيوية ليعتبر به ولائها . وخلع الكرديتال ايسيدور ثوبه الارجواني ولبس ثياب جندي من الجنود المقتولة فامر مع الذين اسروا . ثم هرب الى المورة ومنها الى البندقية وقص على اهالي اوربا ما اصاب عاصمة مملكة الروم . واحشد الالوف من السكان في كنيسة ابا صوفيا فاسروا كلهم . قال احد مؤرخي اليونان انه لو نزل ملاك من السماء حينئذ وخبرهم بين الاتحاد الكنيستين والوقوف في يد الانراك لفضلوا الثاني على الاول

ووصل خبر هذا الفتح الى الديار المصرية بعد نحو ستة اشهر قال ابن اباس في حوادث ذي القعدة سنة ٨٥٧^{هـ} وفيه وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان يخبر السلطان^(١) بنجح القسطنطينية العظمى وقد صنع المكاييد في فتحها وكان الفتح في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الاولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ) فلما بلغ ذلك دقت البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة ثم ان السلطان عين برسباي امير اخور ثاني رسولا الى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برسباي وتوجه الى بلاد ابن عثمان . وقال في حوادث السنة التالية " وفيه (اي في جمادى الاخرى) قدم برسباي الذي توجه قاصداً الى محمد بن عثمان وخلع عليه . واكتفى ابن اباس بذلك ولم يزد . وهو يلقب صاحب مصر حينئذ بالسلطان واما السلطان محمد الفاتح فيكنى بتسميته محمد بن عثمان ملك الروم

(١) اي سلطان مصر والشام الملك الاشرف اهنال العلاني الظاهري

ونقل الأمير حيدر الشهابي في تاريخه المشهور ما خلاصته * ان السلطان محمدًا الفاتح فشل في اول الامر وعزم على رفع الحصار عن القسطنطينية وجمع وزراءه واستشارهم فاشاروا عليه بالاستمرار على الحصار وبعد ثلاثة ايام هجمت جنوده على المدينة وهدموا بعض اسوارها ودخلوها عنوة ووجدوا الملك قسطنطين قد ديس تحت الارجل من نزاح الجنود وكان ذلك في السابع والعشرين من شهر ايار وكان ابتداء حصارها في شهر نيسان واطلقت يد الجنود للقتل والسلب والنهب ثلاثة ايام ثم امر السلطان بتأمين الباقين احياء وامر الاساقفة والقسوس ان يختاروا لهم بطريركاً جديداً لان البطريرك الاول غريغوريوس كان قد ترك كرسيه ولجأ الى الكرسي الروماني فاخاروا الصالح الذكر جرجس شكولاريوس الذي كان قاضياً وسموه جنادايوس وامر السلطان فاحتفلوا بسمائه كما كان يحفل في زمن ملوك القسطنطينية والظاهر انه ليس في العربية تاريخ لفتح القسطنطينية كشب حين فتحها اما الاتراك فكاتبوا نواريج كثيرة في زمن محمد الفاتح استشهد بها كثير في تاريخه المشهور وذكرها فون هرلكننا لم نرها ولا رأينا ترجمتها واما الروم واليونان ففصلوا ذلك الفتح تفصيلاً مسهباً وقد جمع المؤرخ جبن الشهير نواريجهم وخلص منها ما يملأ اربعين او خمسين صفحة من المقتطف وما قاله فيها — ان الروم هم الذين اخرجوا السلطان على فتح مدينتهم بمقاتلتهم فعوضاً عن ان يلزموا السكنينة لكي ينسى وجودهم بعثوا رسلهم وراءهم يتبعونه من مكان الى آخر ويطلبونه بزيادة الراتب المقرر للامير ارخان وكان الوزير خليل باشا مخلصاً لمفسده رأيهم وقال لهم * ايها الحقى ان السلطان مراداً الذي كان كثير النودة قد توفي ونحن الان بين يدي شاب شديد العزيمة قوي الشكيمة الفتح شيمته ولا يقف شيء في طريقه فاشكروا ربكم اذا نجوتم من يده فان كنتم تخرجونه لتخرجوه وتهددونه باطلاق ارخان وجعله سلطاناً على رومانيا واستدعاء الجار من وراء الدنيوب وام اوربا لمحاربتنا فانكم تقضون على انفسكم . اما السلطان فلم يتوعد بل طيب خاطرهم وقال لهم انه ينظر في طلبهم حال رجوعه الى ادرنه . ولما رجع امر بقطع الراتب وشرع في بناء الحصن المشار اليه آنفاً على خمسة اميال من القسطنطينية وجمع لبنائه الف بناء وحاول رسل الامبراطور ان يصرفوه عن عزمه فاجابهم انه يبني الحصن في ارضه لا في ارضهم لان مملكة امبراطورهم صارت محدودة باسوار مدينته ثم قال لهم ارجعوا واخبروا مولاكم اني لست مثل سلفائي وان مقاصدي لا تثوقف على مشيئتكم وانكم اذا عدتم الي ثانية سلخت جلودكم

ولما عاد الرسل واخبروا الامبراطور بما سمعوا ورأوا عزم ان يشهر الحرب ويمنع تقدم

العثمانيين لكن رجاله صرفوه عن عزمه كأن ذلك يصرف السلطان عما قصده ومضى الشتاء والخطر محقق بالروم وهو يتعاضم يوماً فيوماً وهم نيام او متناومون

وشرع السلطان في بناء الحصن في السادس والعشرين من شهر مارس (اذار) وجعله مثلث الجوانب وبني ثلاثة أبراج على زواياه الثلاث وكان سمك جدرانها ثلاثين قدماً وسقفه بالرصاص وجلب حجارة الكنائس واعمدتها لبنائهم . واطلق بعض فرسان الاتراك خيولهم في مزارع الروم حول القسطنطينية فرعت ما فيها من الزرع ووقع الشجار بين اصحابها واصحاب مزارع الروم فهدمت المزارع وقتل اربعون من اصحابها . ورأى الامبراطور حينئذ ان الحرب صارت على قارب قوسين فاقتل ابواب القسطنطينية وكتب الى السلطان يقول اني القيت اعتمادى على الله لعله يلين قلبك ويصرفك عن عزمك والآن فاني خاضع لمشيئته واحكم اليه وهو خير الحاكمين وما دمت حياً فاني ادافع عن شعبي واموت في الدفاع عنهم

اما السلطان فانه اتم بناء الحصن واقام فيه رقيباً يتقاضي جملاً من كل السفن الداخلة . وحاولت سفينة من سفن البندقية الدخول من غير دفع الجمل فاطلق الرقيب عليها مدفعاً اغرقها . وهذا المدفع من عمل ارباب المجري سبكه للسلطان كما سبك غيره من المدافع الكبيرة التي هدمت حصون القسطنطينية وسهلت فتحها . ونجا ربان السفينة وثلاثون من بحارتها في قارب فقبض عليهم وقيدوا بالسلاسل فقطعت رؤوس البحارة وسلخ جلد الربان . وقد رأى المؤرخ دو كاس اجسادهم مطروحة للوحوش . وأخر حصار القسطنطينية الى الربيع التالي ولما حان الوقت استدعى السلطان وزيره خليل باشا واخبره بما عزم عليه . قيل انه استدعاه ليلاً فهرول اليه بعد ان ودع زوجته واولاده واخذ معه الهدية المعتادة من الذهب على جاري العادة وقدمها الى السلطان فقال له السلطان ان هذه الهدية لا تكفيني وانا اطلب منك هدية اثنى واسنى اطلب منك القسطنطينية . فقال الوزير ان الذي وهبك الجانب الاكبر من مملكة الروم لا يضمن عليك بالبقية الباقية منها فانت موفق الى ما تريد بعون الله وانا وكل عبيدك الامناء وقف على خدمتك . فقال السلطان لقد مضى الليل وجفني لم يذك الكرى فايك وذهب الروم وفضتهم نحن اشد منهم بأساً واغوى عدة وسنفوز عليهم بعون الله وجاء نبيه ثم شرح المؤرخ جين كيفية حصار القسطنطينية وفتحها والاعمال المنكرة التي عملت على اثر ذلك الفتح مما كرهه الناظر التاريخ . وتوفي السلطان محمد الفاتح وهو في الحادية والخمسين من عمره بعد ان استولى على المورة وطرابزون (وكانت امبراطورية) وتهدد فيناً وحارب رودس واستولى على مدينة اترنتو من مدن ايطاليا

باب المراسلة والمنظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإيضاحاً للهمم ونشجداً للاذعان .
ولكن العهدة في ما يدرج فيه على احتيايو ف نحن براءاً منه كلاً . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنظف ونراعي في
الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والظير مشتقان من اصل واحد فهنا ظرك نظيرك (٢) اما
الغرض من المناظرة التوصل الى المحقق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيم كان المعترف باغلاطه اعظم
(٣) خور الكلام ما قل ودل . فالمقالات النافية مع الاعجاز تستقار على المطولة

مقدمة الدكتور شميل

[نشرنا في هذا الجزء جانباً من المقالة العلمية الفلسفية التي انشأها الدكتور شميل ليجملها
مقدمة لكتاب شرح يجتز على دارون الذي عزم ان يعيد طبعه . ثم بحث الينا بجانب آخر
من تلك المقالة وطلب الينا ان ننشره في باب المراسلة والمناظرة لكي يتجه اليه نظر المنتقدين
ويبدوا رأيهم فيه لانه ضمنه رأياً علمياً ارتأه في سبب شفاء الامراض التي تشفى ولا تعود
كالجدري والتي تشفى ثم تعود كالحمى الملارئة والتي لا تشفى كالسرطان فارتأى ان الميكروبات
التي تسبب الامراض الاولى انواع ثابتة والتي تسبب الامراض الثانية تباينات متغيرة
والتي تسبب الامراض الثالثة انواع اثبت في النوعية من الانواع الاولى كما ترى فيما يلي .
لما كان القول بمذهب النشوء يستلزم ضرورة القول بمادية الكون لم يكن تقريره من
السهل لدى اصحاب المبدأ الحيوي لصعوبة تأييد التولد الذاتي بالوسائل التي لنا اليوم . وقد
استمسك علماء النظر بهذا المبدأ استمسك الفريق بجبل النجاء . وبلغ التحمس في المناظرة
بين الفريقين حداً حدث بين سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر دارون فيها كتابه في اصل
الانواع وسنة ١٨٩٠ وهي السنة التي بدأت جاليتهم فيها تحف . وكان جل اعتراضهم ان
التولد الذاتي لم يثبت علمياً كان هذا الاعتراض لا يجوز عليهم كما يجوز على سوامهم . فان كان
اصحاب النشوء لم يروا حياً ثبت من غير حي فهل رأى اصحاب الخلق انساناً خلق من غير
انسان فكلاهما في جواز الاعتراض العلمي سواء مع الفرق بان هؤلاء يخالفون كل قضايا
العلم في التحقيق والاستقراء بخلاف اولئك فانهم في كل قضاياهم متفقون مع العلم الطبيعي .
ولو اقتصر اصحاب الخلق على الاستمسك بمذهب الخلق الكلي فقط لما اشدت النزاع بينهم

وبين اصحاب النشوء لزوم اتفاقهم بعد ذلك على تكون الاحياء وتحولها بقوى الطبيعة نفسها ولكنهم ابوا الا الاستمسك بالخلق النوعي الذي يجعل كل نوع من الاحياء موضوع خلق خاص ليفصلوا الانسان بذلك فصلاً تاماً ويجعلوه في مقام ممتاز لا في سلم التحول الراقي بل في نوع الخلق نفسه لئلا يكون وجوده على تلك الصورة نتيجة يترب عليها مشاركة الذاتية لساير المخلوقات وهم يريدون ان لا تكون له هذه المشاركة الا في الاعراض فقط تأييداً لتعاليمهم من انه الغاية المقصودة بالذات والتي لا جملها خلق كل ما في الكون وهو قول لا يقبله العلم اليوم على ان هكل وهو من كبار العلماء الطبيعيين اكتشف في قاع البحار جسماً متعضياً بصح ان يكون حلقة الاتصال بين الجماد والحى ودليلاً على التولد الذاتي وقد أطلق عليه اسم المونير وهو عبارة عن ابسط الكريات الحية القائمة بنفسها ومهما يكن من ذلك ومن القول بالباثميوس ومن زعم آخرين ايضاً بانهم تمكنوا من احداث هذا التولد فحل مسألة النشوء الطبيعي لم يعد متوقفاً على ذلك بعد ما ثبت تحول القوى بعضها الى بعض وتحول المادة بها كذلك وتحول الاحياء نفسها تبعاً لناموس المطابقة كما ان حل مسألة الهيبولي لم يعد متوقفاً على رد العناصر كلها الى بسيط واحد. والوقوف عند ذلك بعد ما ثبت كل هذا الارتباط نعت اذا جاز لاصحاب المذهب الواحد جاز اكثر لخصومهم

وقد علا هتاف اصحاب المبدأ الحيوي جداً لما قام بستور واكتشف سر الاختار. واثبت علمياً انه ناشئ عن جراثيم اي احياء دينا لا ترى الا بالمناظير المعظمة أطلق عليها اسم المكروبات وايد قوله بالبرهان اذ منع الاختار واقف كل فساد يقتل الجراثيم في الجسم الخنصر وصدها عن النفوذ اليه واكتشف بذلك طريقة التعقيم العلمية وافر مذهب الجراثيم على اساس علمي متين. فزعموا ان اكتشاف بستور هذا قد جاء بالضربة القاضية على مذهب القائلين بالتولد الذاتي

على ان لياذ اصحاب المبدأ الحيوي بجراثيم بستور لم يقدم شيئاً جديداً لاثبات ميدهم او لدحض مذهب خصومهم وانما هذا الاكتشاف ابعد حل المسألة اذ اثبت ان الاحياء الدنيا اجسام تامة التكوين مخنطة التركيب قديمة العهد ليست الاولى في سلم الاحياء وان حل مسألة التولد الذاتي يجب ان يبحث عنه في ما هو ادنى منها مما قد تعجز عنه مناظيرنا المكبرة وقد يكون مونير هكل نفسه من الصور الراقية بالنسبة اليه

ولكن جراثيم بستور اذا كانت لم تفدنا شيئاً من هذا القبيل فقد افادت العلم فائدة كبرى اذ كشفت لنا عالماً كبيراً جداً في التاريخ الطبيعي لم يكن معلوماً لنا من قبل واثبتت

ان لهذا العالم اتصالاً شديداً بنا فدرسه اذن يفيدنا جداً لتعرف ما له من المضار وما
يحرز من المنافع للتطبيق ذلك على مصالحنا الاجتماعية زراعية كانت او صناعية او طبية . وقد
كان لهذا الاكتشاف شأن عظيم جداً خصوصاً في علم الطب اذ اثبت ان الامراض ليست
الا اختاراً وان سببها جراثيم فقلب كل المذاهب الاجتهادية التي كانت شائعة قبله واقر علم
الباثولوجية على قرار مكين وتقدمت به صناعة الشفاء تقدماً بيناً بتعرف طبائع الاحياء
الدنيا والوقوف على الوسائل المقاومة لها . وعلى ذلك اكتشف باستور طريقة التلقيح العلمية
بالمصل الشافي والواقي معاً وهي اعظم اكتشاف في علم الشفاء ختم القرن الماضي به حسناته
وفي طليعة ذلك اهمية وثبوتاً مصل الدفتيريا الذي اكتشفه تلامذته بعده والذي ينقذ
كل سنة مئات الالوف من الاطفال من مخالب الموت المحتوم . وانما قلت طريقة التلقيح
العلمية لافضل بينها وبين طريقة التلقيح الواقي التجريبية التي اكتشفها اتفاقاً جنر قبل استور
بزمان طويل كما ان لسنر كان اسبق منه الى القول بالجراثيم واعتبارها سبب التعفن واستعمال
العلاج المعقم في الجراحة ولكنه قال قوله هذا بناء على التجربة لا على العلم الحقيقي فالفضل
انما هو لبستور وحده في اسناد ذلك كله الى علم واسع الاكتناف قوي الدعائم . على ان
الفرع الذي استفاد من هذا الاكتشاف فائدة كبرى هو علم الميحيين اي علم منع الامراض
والوقاية منها . ولو كانت نظمات الاجتماع اصح مما هي اليوم لعرفت كيف تستفيد منه كل
الفائدة المترتبة عليه ولمنعت كثيراً من الامراض التي لا تزال تفنك بالناس حتى اليوم فتمكاً ذريعاً
وعدا ذلك فقد استفاد الطب من هذا الاكتشاف فائدة اخرى علمية عظيمة سيكون
لها شأن عظيم جداً في المستقبل متى توجهت الافكار اليها وهي ان علم الامراض صار بهذا
الاكتشاف فرعاً من التاريخ الطبيعى داخلاً في مذهب النشوء والتحول فلا بد من اطلاق
نواميسه عليه : فقد كنا بالامس ندرس الامراض بمظاهرها اي اعراضها ونعتمد في مقاومتها
على التجربة واما اليوم فقد انفتح امامنا باب واسع لدرستها من حيث اسبابها الحقيقية ايضا
والاعتماد في مقاومتها على العلم ولقد خطونا في ذلك حتى اليوم خطوات واسعة ولكنها ليست
شيئاً يذكر بالنسبة الى ما سيفتحه علينا نظرنا فيها بهذا النظر وتمسكنا فيها بهذا الجبل الهادي
وكأن مسألة من اهم مسائل الطب العلمية والعملية حلت بذلك او اوشكت . فقد كنا
في الماضي لا نعرف كيف نعمل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف
لماذا هذه الامراض تعرض كثيراً وتشفى كثيراً ولماذا غيرها لا يعرض الا مرة في العمر
غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه

الامراض كالا حياء العليا انواع وتباينات وعلما كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جدا وان التباينات متغيرة كثيرا لا تثبت زمنا طويلا انجلي لنا سر اختلاف سير هذه الامراض. فاذا كانت الامراض الميازمية كما يسمونها تعرض كثيرا وتشفى كثيرا فلان اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيرا القليلة الثبوت. واذا كانت الامراض النفاطية تشفى وقلا تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالباً ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة النوعية ايضا فصفاها اشد ثبوتا لذلك. واذا علما ان الشفاء من المرض والمناعة عليه سميان في طبيعتهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوع من التكافؤ والائتلاف مهمل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممنعة (او هي غالبية المرض في هذا التنازع بينه وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة

وعلى هذا العلم نترتب فائدة اخرى لعملية لاستكشاف المصل الواقي والشافي معا تقوي عزائمنا في بعض الامراض وترشدنا الى السبيل الاقوم في البعض الآخر فلا تدعنا نضيع الوقت عبثا في محاربته من حيث لا تجدي المحاربة نفعا لعلنا حينئذ ان نجاحنا انما هو في تحدي الطبيعة نفسها فحيث لا نتجح هي فالاولى ان لا نتجح نحن فنصرف قوانا عن الممنوع الى سواه مما يكون ممكنا ليكون اعتدائنا اليه اذا نجحنا طريقة علمية شاملة هي اهم جدا من مكتشفات التجربة التي وان افادت كثيرا احيانا الا انها لا تفيد فائدة علمية حقيقية للتحويل عليها في العلم

وبناء على ما تقدم يمكن الجزم اليوم بان استكشاف المصل الشافي والواقي ممكن في جميع الامراض التي تشفى على اسلوب استحضار المصل الدفتيري وان صعب تعيينه في امراض الرتبة الاولى لقصر مدة المناعة فيها بسبب شدة تحولها واختلاط آفاقها ولكن ذلك اذا افقده الفائدة الخاصة فلا يفقده الفائدة العامة فيها للسبب عينه. ويجب ان يكون ممكنا في الطاعون والهواء الاصفر ايضا. ولا ينبغي ان يتولانا اليأس من استكشافه في الامراض الاخرى الحادة الخاصة. وهو ليس بالممنوع في الزهري وان كان صعبا لبطوء سير هذا الداء ولعله ممكن اذا عرف كيف يستخرج من المريض بعد هجوم اعراضه الثانوية هجوعا تاما. واما التدرن والجذام والسرطان فكيف يمكن ذلك فيها على نفس الطريقة المستعملة للوقاية من الامراض الاخرى وشفائها وهي نفسها لا تشفى فكان ذلك على هذه الصورة ممنوع فيها فلم يكن بد من توجيه النظر الى مقاومتها من سبيل آخر. ومعلوم ان المرض تنازع بين الجسم والاحياء الدنيا المرضية. ومعلوم كذلك ان الامراض تختلف بحسب الاسنان والاحياء

المختلفة لاسباب يجب ان تكون في الجسم نفسه فاجل توجيه النظر الى هذه الجهة او الى سواها
يسر لنا استكشاف مصل من جنس آخر بعيد للجسم صفاته المانعة او يكسبه هذه الصفات
لمقاومة الامراض التي لا تشفى ولجعلها امنع ايضاً على الامراض التي تشفى . فالطب العلمي
الحقيقي هو هذا لا طب العقاقير وسيكون له في المستقبل شأن عظيم جداً الى ان يتيسر
للاجتماع ان يعرف بنظائمه كيف يستفيد من حسنات العلم فيسهل للطب غرضه الاول وهو
العلاج المنعي لقتل جراثيم الامراض في مكانها وصدّها عن التعلق بالجسم . — ولا انكر
ما في القول المتقدم من الجسارة ولكنه قول مبني على تطبيق مذهب النشوء على علم
الامراض بناء على ما يعلم من ثبوت الاحياء في التنزع بحسب رتبتهما في النوعية وكان الواقع
يؤيده اليوم

الدكتور شمیل

إشكال وايضاح

حضرة الدكاترة الافاضل

جاء في الصفحة ٩٢٥ من المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف ان معنى سياه كوش
وقره قولاق الاذن السوداء والصواب اسود الاذن فان امثال هذه التراكيب في اللغتين
الفارسية والتركية اوصاف تركيبية لا صفة وموصوف فيقولون سياه چشم وقره كوز لاسود
العين لا للعين السوداء . وفي الصفحة ٩٢٩ في ذيل ترجمة الفهد انه يوزو پارس عند الفرس
وكان الفرس يقولون پارسجي كما كانت العرب تقول فهاد . اقول ان پارس لفظة تركية
وپارسجي كذلك كما يقال بوسطه جي وخانجي وليست بفارسية بل هي تركية جيفتائية ايفورية
والمعهود عندنا في حقها انها النمر اي بلنك لا الفهد اي اليوز وعليه فترجمتها نمر لا فهاد . وما
قاله كاترمير من انها لفظة تركية فهو الصحيح وما قلناه من انها بمعنى النمر فماخوذ بما ترجمه
صاحب الزيجات الاخيرة كالزيج الخاقاني لنصير الدين الطوسي وقد الف في زمان هلاكوخان
المغول وزيج الوغ بك التركي الكوركاني وغيرهم فانهم ترجموا پارس الواقعة اسماً لاحدى
السنين التركية الدائرة على اثني عشر اسماً بالنمر اي بلنك وكذلك ترجمه الاحكاميون عند
ذكرهم لاحكام دخول پارس ييل اي سنة پارس وكذا ترجمه في كتاب النصاب الفارسي
المنسوب الى ابي نصر الفراهي التركي اللسان

هذا ما حضر في ذهني الآن ولا يحضرني شيء من الكتب اللغوية التركية لتشتت

احد مشتركي المقتطف

تبريز

الشمّل والله يفعل في ملكه ما يشاء

[المتعطف] بعثنا برسالتكم الى حضرة منشي المقالة التي اشرتم اليها فاجاب عنها بما يأتي
وقفت على رسالة حضرة المعترض التبريزي الفاضل واجيب عليها بما يأتي
اولاً ان حضرة مهيب في قوله ان معنى سياه كوش اسود الاذن وليس الاذن
السوداء كما ذكرت وكنت اخذت ذلك عن محيط المحيط في باب تغف حيث عربها بالاذن
السوداء فنقلت ذلك بالحرف الواحد . واني اشكر له تنبيهي الى ذلك

ثانياً ان لفظة پارس لم ايجث عن اصلها وهل هي فارسية او تركية الاصل بل وجدت
في " الافاظ الفارسية المعربة " انها فارسية وفي كاترمير انها تركية فذكرت ذلك ولم ابد
رأياً . ثم قلت " ان الفهد يوز وپارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارمجي كما كانت
العرب تقول فهاد " وهو صحيح وان تكن اللفظتان الاخيرتان تركيتين . وهذا تعريب ما
جاء بهذا الصدد في ترجمة جامع التواريخ لكاترمير . قال " قلت انما ان النمر الصغير المسمى
يوز عند الفرس يسمى پارس عند الترك وقد اخذ الفرس عنهم هذه اللفظة كما جاء في كتاب
ظفرنامه قال (پارس شكار افكن) وصيغت من هذه اللفظة كلمة پارمجي وذكرها صاحب
كتاب تاريخ وصاف حيث قال (رسوم قوشجيان وپارميجيان) وفي كتاب جامع التواريخ
(قوشجيان وپارميجيان در ولايت جانور كرفند) . وذكرها فولرس في معجمه الفارسي
اللاتيني وفسرها كما فسرهما كاترمير . وقد علمت الآن من سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء
الدكتور ميرزا مهدي خان التبريزي ان هذا التركيب ركيك بالفارسية والتأليف التي
استشهد بها كاترمير كتبت للملك المغول فدخلت عليها التراكيب التركية . وعليه يحسن ابدال
العبارة المعترض عليها بما يأتي " والفهد يسمى يوز بالفارسية وپارس بالتركية الجغتائية والتركية
الجغتائية وكانوا يقولون پارمجي كما كانت العرب تقول فهاداً "

واما قول حضرة ان پارس بالتركية الجغتائية هي بلنك بالفارسية وتمر بالعربية ففيه
نظر فالفرق بين الفهد والنمر لم يكن معروفاً تمام المعرفة عند كثيرين من الشعوب القديمة ولم
يتميز بينهما علماء الافرنج الا في القرن الماضي لكن امرها كان معروفاً عند الهنود والفرس
والعرب وعندهم اسماء فارقة لها منذ القديم ولدينا شواهد كثيرة على ذلك اذكر واحداً منها
وهو ان احد الاكامرة اهدى نمرآ الى فيصر الروم فظنه هذا فهدا لشابه الوصف فتعافل عنه
فقتل غلاماً له (مروج الذهب للمسعودي صفحة ٢٣٩ على هامش نفع الطيب) فلفظة پارس
عند المغول قديماً كلفظة پاردس عند اليونان والرومان وپارد عند الانكليز والفرنسيين
الطلعت بدون تمييز على عدة انواع من هذه الحيوانات وقد ذكرت شيئاً من هذا في باب الفهد .

وهذا التغيير في اسماء الحيوانات كثير الحدوث كما سيأتي عند ذكر الرثم . فالشواهد التي أتت بها حضرة حقيقة لفظة پارس بلغة الايغور والقيجاق تطلق على النمر لكنها باللغة الجغتائية والعثمانية خصت باليوز اي الفهد والبارسجي هو الفهاد لا النمار . وهذا ما جاء في البرهان القاطع لحسين بن خلف التبريزي ترجمة السيد عاصم العنتابي ويقال انه احسن المعجمات الفارسية التركية قال " پلنك خدنك وزنده قيلان تعبير اولئان يرتجى جانوره دينور . عريده نمر دينور " اي پلنك على وزن خدنك حيوان مفترس يسمى قيلان وهو النمر بالعربية . وفي باب يوز ما نصه " وپارس تعبير اولئان جانور اسميد عريده فهد دينور " اي يوز حيوان يسمى پارس وهو الفهد بالعربية . وفي نزهة القلوب نقلاً عن كاترمير ما ترجمه (عن الفرنسية) " پلنك المسمى بالعربية نمر الخ . ويوزاو الفهد ويسمى بالتركية پارس حيوان شرس غصوب كثير النوم مولع بالصيد يتعلم بسهولة " والالفاظ التركية والعربية والفارسية نقلتها عن كاترمير بالحرف الواحد لانها مكتوبة بالحروف العربية . واعظم برهان ان پارس عند الترك هو المسمى يوز عند الفرس قولم پارسجي اي فهاد وهو معلم الفهود ولا يمكن ان يكون نمرًا لان النمر پلنك لا يتعلم الصيد وقيلما يستأنس ولم يسمع ان احداً صاديه والمشهور ان الحيوان الصائد هو ما يسمى يوز بالفارسية وحيتته بالهندية وفهد بالعربية فهل كان الترك يصيدون بالنمر حتى قالوا پارسجي . وقد قيل عن ملوكهم ان الواحد منهم كان يقتني نحو الالف من الفهود (دائرة المعارف الانكليزية لفظة جيته) وذكر كاترمير ان الفرس سمو اليوز جيته ايضاً نقلاً عن الهندو فالنمر والفهد كما قلت شبيهان في الظاهر وكلاهما منقطان وتغلبت عليها اسماء كثيرة في لغات كثيرة الا ان الفرس والعرب حافظوا على يوز وپلنك وفهد ونمر . والخلاصة ان لفظة پارس بلغة الايغور والقيجاق تطلق على النمر (پلنك) وباللغة التركية الجغتائية والعثمانية تطلق على الفهد (يوز) والفرق بين هذه اللغات عظيم . واما البارسجي فهو الفهاد فقط على ما ارى

وفي الختام اكرر الشناء على حضرة لغبرته على العلم ولانه نبهني الى اغلاط يجب اصلاحها في المستقبل فان الغاية من نشر رسائلي في المقتطف عرضها على الباحثين . ويسرني ان اول انتقاد جاءني كان من مدينة العلم تبريز ولا سيما في احوالها الحاضرة وقد اطلع سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا محمد مهدي خان التبريزي على رسائلي هذه لاني اجهل الفارسية فوافق عليها

الدكتور امين المعاون

غرائب الاحلام

سيدى اصحاب المقتطف الفاضلين

طالما مرّ على مسامعي من غرائب الاحلام ما كنت اعدّه من قبيل تلبك في المعدة وسوء الهضم الى ان ظننت ان لأرواح الناس رحلات ليلية بعد رقاد الجسد فننتقل من بلاد الى اخرى وتشكو الواحدة الى الاخرى ما بها وتدور في البيوت وترى ما هو جارٍ فيها وعند اليقظة تخبر اصحابها بخاصة رحلاتها

والآن نرجو منكم ان تعلقوا لنا سبب مطابقة الاحلام لحوادثها في الزمان والمكان كما في الاحلام التالية

(١) في الخامس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٠٨ عند مطلع الفجر ايقظتني امرأتي وقصّت عليّ ما خلاصته

حلمتُ أننا زرنا بيت صديقنا الشيخ قسطنطين جحا في شمعين بلبنان وكنا ننتظر ان نرى لطفه حسب العادة في استقبالنا لكننا لم نجد هذه المرة من ردة علينا السلام وشاهدنا الولد يأكل على مائدة والكدر بادٍ على محياه وانا ساءت روح وتجيّ والكمل مظهرون الانهالك والارتباك الى ان اطللنا من نافذة البيت فرأينا الاخ الاكبر ميخائيل افندي جحا ملقاً على فراشه اشبه بالاموات. وهنا حدث حركة في البيت فاستيقظت امرأتي والانقباض آخذ منها مأخذه ثم رأيت ومضى على هذا الحلم ٥ ايام حيث وصلت البوسطة فتناولنا منها تحريراً من الصديق داود افندي بشير تاريخه ١ تموز سنة ١٩٠٨ وفيه الفقرة التالية

” الشيخ قسطنطين جحا — هذه السنة افكاره متعبوبة لان ميخائيل افندي مريض لدرجة اخيرة والآن تحسن غير ان حالته تظهر غير محمودة للنهاية “
وميخائيل افندي هو نفس من قالت امرأتي انها رأتها مريضاً في حلمها فوقفت عند هذا مبهوتاً

(٢) وقبل وصول البريد بثلاثة ايام اخبرني اخي انه حلم ان شقيقتي في سوريا رزقت ولداً ذكراً. وعند وصول البريد اخذنا تحريراً من صهرنا يفيد ذلك تماماً
(٣) حلمت امرأتي في السنة الماضية ان شقيقتي رزقت غلاماً في كذا من شهر كذا وبعد قليل جاءنا تحرير فيه ان الشقيقة رزقت غلاماً في الشهر واليوم الذي عينته في منامها هذه ثلاث غرائب من الاحلام وقعت في يتي كتبت بها اليكم طالباً حلها بما يدركه الفهم

(٤) اشكل عليّ مرة حل مسألة فبقيت الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل ولم اهتد الى حلها الى ان اعياني الافتكار فرددت وقلم الرصاص والورقة يجاني وبعد ما نمت نحو ثلاث ساعات نهضت مذعوراً لصوت حدث في البيت فوجدت اني اهتديت الى حل المسألة فقصت هذه القصة على احد الاصحاب فعلل لي التعليل الآتي قال

يحمل ان يكون غيري في مكان آخر كان يفكر في حل المسألة نفسها وقد حل شيئاً منها واشكل عليه امر كنت انا حللتُهُ وهو حل ما كان اشكل عليّ الى ان رقدنا وبعد الرقاد سارت الارواح بجولانها الى ان التقت روحي بروح صيني فحدثنا ونطرقنا الى ذكر المسألة نفسها فاخبرت كل منهما الاخرى ما كانت حلتهُ منها وبهذه الطريقة حلت المسألة لدى روحي وروحي فتمت اعرفها تماماً فهل لكلام صديقي شيء من الصحة او ما رأيكم في ذلك

جرجي مرعي

كروزادودوسول بالبرازيل

[المقتطف] لا شبهة في غرابة الاحلام التي من قبيل ما ذكرتم ولكن اذا دقق المرء نظره في روايتها والحوادث التي تشير اليها زالت الغرابة غالباً . كتبت اليها سيدة في اوائل الصيف الماضي وهي مسافرة في عرض البحر انها حملت بان ابنة لنا ولدت صبياً وقرأنا كتابها وبقي في ذهننا منه انها عينت فيه اليوم والساعة فجاء ذلك منطبقاً على يوم الولادة وساعتها وشرعنا في كتابة مقالة في هذا الموضوع وهي المنشورة في الجزء الثامن من السنة الماضية ثم خطر لنا ان نقرأ الكتاب ثانية وتقابل بين ما فيه وبين يوم الولادة وساعتها فرأينا ان ما روي في ذهننا اولاً من قراءة الكتاب لم يكن على تمام الصحة لان السيدة لم تعين ساعة الولادة بل قالت ان والدة ولدت ابنها ليلاً وهي ولدته صباحاً فكأنها عينت يوم الولادة فقط ولم يكن تعيينه صعباً جداً عليها بل كانت نسبة الاصابة فيه الى الخطأ كنسبة ١ الى ٢٦ والاصابة مرة من كل ٢٦ مرة ليست من الخوارق

اما الحادثة الاولى التي ذكرتموها فيحمل فيها ان تكون زواجكم قد ممعت عن مرض ابن الشيخ حجامن اناس اتاهم خبر مرضه لكنها ممعت الخبر وهي مشغولة بالحديث مع آخرين فلم تنبه له الا ان الصوت يدخل الاذن على كل حال وقد بقي تأثيره في الدماغ سواء انتبه له السامع او لم ينتبه فلما نامت التفت عقلها الى الاثر الذي بقي في الدماغ من مباح الخبر وبني عليه الحلم المذكور . هذا احد الاحتمالات وقد توجد احتمالات اخرى تسهل عليكم معرفتها اذا يبحثتم ودققتم

والحادثة الثانية تعليلها اتمهل من تعليل الاول وهو انكم ممعت ان شقيقكم حامل فهدس

اخوك بذلك وحلم انها ولدت ابناً وكان يحتمل ان يخطئ ويحلم انها ولدت ابنة ونسبة الاصابة الى الخطأ كنسبة واحد الى واحد . ثم ان الرغبة في ان يكون المولود ابناً يرجح الحلم بولادة الصبي لا البنت

والحادثة الثالثة تشبه الحادثة التي ذكرناها نحن في مقالتنا المشار اليها آنفاً

والحادثة الرابعة تعليلها مهمل وهو ان العقل يبقى يشتغل بما كان الانسان يشتغل به قبل نومه فيمتد في حل المسائل في النوم كما يمتد في اليها في اليقظة وقد يكون حلها امهلاً في النوم لانتفاء الشواغل الاخرى حينئذ وانقطاع العقل اليها كما يغمض الانسان عينيه حينما يفكر في امر عويص او حينما يريد ان يحفظ شيئاً غيباً لكي يتجه عقله كله الى الموضوع الذي يفكر فيه . وتعليل صاحبكم لا وجه له لانه لا يعقل ان الروح تخرج من الجسد ويبقى حياً ولا حاجة بنا الى فروض لم يقم دليل على صحتها ولدينا تعليلات كثيرة معقولة

بَابُ الزَّرْعِ

زراعة التبغ (الدخان)

تمهيد

لما منعت الحكومة المصرية زراعة التبغ في بلادها بنت هذا المنع على ان التبغ المصري (البلدي) غير جيد لا يستطیع جمهور كبير من الناس بل يفضلون عليه التبغ التركي والکوراني والاميركي ولا يسهل اصداره من البلاد فتبقى زراعته محصورة في فدان قليلة حسب مقطوعة القطر فليس من منع زرعه ضرر كبير ولكن هذا المنع يفيد الحكومة فائدة كبيرة لانها تضع ضريبة كبيرة على التبغ الوارد من الخارج تستعملها في المصالح العمومية كأنها فرضت ضريبة على المدخنين تأخذها منهم وتعمل بها الاعمال العمومية التي تفيدهم وتفيد غيرهم كحفر الترع والمصارف واقامة الجسور والكباري والاعناء بالصحة العمومية ونحو ذلك من الاعمال التي تعملها الحكومة . ويبلغ ايراد الحكومة الآن من جمرک التبغ نحو مليون ونصف من الجنيهات فاذا وجدت ان هذا الايراد يبقى على حاله اولا ينقص الا قليلاً باباحة زرع التبغ فلا شيء يمنعها عن اباحة زرعه

وقد اخبرنا احد الوجهاء انه علل التبغ المصري (الدخان البلدي) وصنع منه سيكاًراً مثل سيكار هافنا وعرضه على بعض الخبيرين بالتبغ فدخنوه واستطابوه وحسبوه من سيكار هافنا. وهو الذي عرض على الحكومة ان تعيد زراعة التبغ حتى اذا تعهد لها جمهور من المزارعين انهم يزرعون خمسين الف فدان ويدفعون ضريبة الفدان ثلاثين جنياً اجتمع لها من ذلك مليون ونصف من الجنيات اي قدر ما تأخذه الآن جمركا على التبغ الوارد الى القطر المصري . ومن رأي ذلك الوجه انه اذا اعني بزرع التبغ وتعليقه امكن اصدار مقدار كبير منه بعد ذلك . فاذا استطاع القطر المصري ان يصدر محصول مئة الف فدان وفرضنا غلة الفدان الف كيلو وبيع الكيلو بخمسة غروش فقط بلغ ثمن الصادر من التبغ خمسة ملايين من الجنيات واذا بلغت غلة الفدان الف كيلو كما هو المرجح بلغ ثمن الصادر عشرة ملايين من الجنيات

وكل ذلك ثابت مقرر الا جودة التبغ البلدي حتى يساوي التبغ التركي او اليوناني او الاميركي فاذا ثبت بالتجارب ان التبغ البلدي جيد مثل غيره لم تبقى صعوبة في اباحة زراعته واتساعها وكثرة ما يصدر منه

وتربة القطر المصري صالحة لزراعة التبغ ونموه وقد شاهدنا التبغ يزرع في لبنان حيث يعنى به اشد الاعناء ولكننا لم نره يبلغ هناك في نموه ما كان يبلغه على ساحل النيل في الجزيرة قبلما منعت زراعته فان ارتفاعه كان يبلغ ثلاثة امتار او اكثر وهذا لم نر ما يائله في اجود حوا كبير لبنان . واخبرنا غير واحد انهم استغلوا من الفدان التي افة فلا شبة اذا امن قبيل النمو ولكن الشبهة من قبيل الجودة فان التبغ قد ينمو كثيراً ويكون هشاً لا طعم له فلا يستطيع شاربوه . ويقال ان البلاد الحارة التي يكثر شروق الشمس فيها وبقل الغيم لا يجود التبغ فيها فان كان ذلك صحيحاً فالقطر المصري ليس من البلدان التي يجود تبغها ولو غما كثيراً . ثم ان التبغ لا يجود الا اذا كثرت املاح البوتاسا في الارض واملاح الجير وهي غير كثيرة في تربة القطر المصري

ومهما كانت الارض جيدة وصالحة لزراعة التبغ ومهما نما التبغ فيها فهو لا يكون من التبغ الجيد الا اذا علل تعليلاً مخصوصاً في قطفه وتجفيفه . وعسى ان يثبت بالامتحان ان التبغ المصري من اجود انواع التبغ فتنتشر زراعته في هذا القطر ويكثر الصادر منه فتزيد به ثروة البلاد . واذا قد تمهد ذلك نشر كيفية زرع التبغ وقطفه وتجفيفه على ما نعلم بالخبر والخبر

الارض الصالحة لزراعة

اصح الاراضي لزراعة التبغ الاراضي الطينية التي فيها قليل من الرمل الغنية بالبوتاسا والجير (الكلس) والمواد النباتية لان في التبغ كثيراً من البوتاسا والجير والمركبات النيتروجينية اي ان الارض الطينية المحلولة الاجزاء تكون صالحة لزراعة التبغ اذا كثرت فيها المواد التي يستفدي بها كالـبوتاسا والمركبات النيتروجينية واذا كانت هذه المواد قليلة فيها فلا بد من تسبيخها كثيراً بالسباخ البلدي (الزبل) وهو من اجود انواع السباخ

كيفية زرع البذر (الفقاي)

يزرع التبغ من بزره ويختار البذر من اجود انواع التبغ فيحسن بالحكومة المصرية ان تجلب البذر من هافنا او من الاماكن التي يوجد فيها التبغ في تركيا وبلاد اليونان . وبزر التبغ صغير جداً كحبوب الزمل وهو يزرع اولاً في مسابك تختار من ارض جيدة جداً تركس اولاً وينعم ترابها وتمزج بالرماد او يبسط عليها القش ويحرق فيها حتى تمتزج برماده وتموت الحشرات منها ويحسن ان يكرر ذلك مرة اخرى اي تعزق ثانية وتغطي بالقش ويحرق فيها . ويكون طول المسبكة ثلاثة امتار وعرضها متراً او متراً وربع متر حتى يسهل وصول اليد الى اطرافها ويحسن ان تكون تحت شجرة تظللها . ويمزج بزر التبغ بالرماد او بالتراب الناعم قبل بذره لكي لا تقع منه بزور كثيرة في مكان واحد . وتركس الارض قليلاً بعد بذر البذر فيها لكي يغطي التراب ثم تسقى واذا نبتت الاعشاب بينه وجب اقتلاعها حالاً . ومضى صار ارتفاع نبات التبغ سبعة سنتيمترات الى عشرة يقطع ويزرع في مزارع التبغ

اعداد الارض

تحرث ارض المزارع جيداً وينعم ترابها حتى تختللها جذيرات النبات بسهولة فلا بد من حرثها مراراً طويلاً وعرضاً وتكسيرا ما يكون فيها من القلاقل (التلع) . ثم تخطط خطوطاً عمقها نصف قدم والبعد بين الخط والخط ثلاث اقدام وتزرع الترفيدة (الشتل) في هذه الخطوط وبين النبتة والاخرى قدم ونصف او اكثر ولا بد من تسميد الارض جيداً قبل حرثها الحرثة الاخيرة . واهالي سورية يسمدون الارض بزبل المعزى او يزرعون المعزى في الحواكير التي يزرعون التبغ فيها حتى تسمد بزبله

كيفية زرع الترفيدة (الشتل)

الترفيدة وتسمى في سورية شتلاً هي النبات الصغير الذي يقطع ليزرع حيث يراد زرع النبات اخيراً . ويختار لزراعها يوم رطب غير جاف الهواء . والزرع قرب المساء خير من الزرع

في الصباح حتى لا يشتد حر النهار على النبات بُعِدَ زرعه فيذبل كثيراً وقد يبس من شدة حر الظهيرة . ويجب ان لا يعلو التراب عليه حتى يغطي اوراقه ولا بد من ارواء النبات المزروع مرة بعد اخرى حتى ينمو اذا لم يرو من المطر ولا بد من الترقيع اذا يبس (نشف) بعض المزروع

الخدمة

حينما تظهر ورفتان او ثلاث من الاوراق الجديدة يقلب قليل من جانبي الخط على النبات بالفاس (معول صغير) ويكرر ذلك مرة كل اسبوعين حتى نزول الخطوط كلها ويرتفع التراب حول اصول النبات . ولا يجوز هذا العزق اذا كانت الارض شديدة الرطوبة لئلا تنماسك اجزاؤها حول اصول النبات . ولا يجوز ان يبق شي من الاعشاب البرية في الارض التي يزرع فيها التبغ

خصي النبات

يبتدئ ازهار التبغ بعد زرعه بثلاثين يوماً الى اربعين يوماً واهالي اميركا يخصونه حينئذ اي يقطعون راسه الذي يظهر الزهر فيه الا النبات الذي يريدون اخذ التقاوي منه فيبقون ازهاره فيه . اما اهالي سورية فلا يخصونه بل يتركون زهره فيه واذا خصي النبات لم يبق فيه سوى عشر اوراق الى ١٤ ورقة فنترك الى ان تبلغ اشدها من النمو ومن قبيل ذلك نزع الفروع التي تنمو في ابط الاوراق لانها تمتص غذاء الاوراق فتضعفها ولا فائدة منها . ويسمى هذا العمل تفريكا في بعض انحاء لبنان

حشرات التبغ

يسطو على نبات التبغ ديدان تأكل ورقه وتلفه واهالي اميركا يطلقون الدجاج الرومي (الحبشي) في مزارع التبغ فتنتقيها من الدود وهم يقتنونها لهذه الغاية . ولا بد من تنقية الدود من مزارع التبغ مرتين كل يوم لان الدودة الواحدة قد تأكل اوراق الشجرة اذا تركت عليها اربعا وعشرين صاة

قطف التبغ

حينما يبلغ ورق التبغ يقطف ويبسط في الشمس حتى يذبل واهالي كوبا يقطعون النبات كله وينصبون قضباناً طويلة على اعمدة متشعبة حتى تكون القضبان افقية ويقطعون الورق بسكين حادة حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين متصلتين معاً وينصبونهما على القضب الافقي حتى تركبا عليه وبضعون الورق الجيد وحده وغير الجيد وحده ويترك الورق حتى

يذبل . وقد يضعون النبات كله واوراقه فيه في الشمس حتى يذبل من الجانب الواحد ثم يقلبونه حتى يذبل من الجانب الآخر واهالي سورية يشكون ورق التبغ يجيظ ويجففونه كذلك في الشمس او في الهواء في مكان ظليل حتى يذبل ويجف

ولا يجوز قطف التبغ قبل ما يبلغ جيداً وهو يبلغ في نحو ثلاثة اشهر بعد زرعه من البذر ومن بلغ يصير ملمس ورقه صمغياً ويضرب لونه الى الصفرة وتظهر فيه نقط وتلتوي حروف الورقة الى الاسفل ولا يقطف الورق والندى عليه

اما معالجة التبغ بعد قطفه فسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

ويظهر مما تقدم انه لا يسهل على الرجل الواحد ان يقوم باكثر من زراعة نصف فدان وان نفقات الزراعة والخدمة كثيرة جداً ولا نظن ان نفقات زراعة الفدان وتسميده وخدمته تقل عن خمسة عشر جنهما فاذا كان مال الفدان ٣٠ جنهما وابعاره ١٥ جنهما كايجار اراضي الجزائر الجيدة ونفقات الزراعة والخدمة ١٥ جنهما بلغ مجموع ذلك ٦٠ جنهما فلا تفي الزراعة بالنفقات ما لم يبلغ محصول الفدان الف اقة على الاقل اذا بيعت الاقة باكثر من ستة غروش ولم يحصل تلف للزراعة من الدودة ولا من الآفات الجوية واما اذا حصل تلف فالخسارة كبيرة جداً لانه لا بد من دفع الاموال والنفقات وهي تساوي ما يدفع عادة على عشرة افدنة . فاذا زرع رجل عشر اطيانه تبغاً وتلف محصوله خسر محصول اطيانه كلها . ولذلك فالحكمة تقضي ان لا يزرع احد الا جانباً صغيراً من اطيانه تبغاً . واذا لم نتدبر الحكومة ذلك حين الترخيص بزراعة التبغ فقد تضر القطر اكثر مما تنفعه

تقليم الاشجار

ان لم تكن الاشجار المثمرة قد قلت فيجب ان تقلم الآن حالاً قبل ظهور البراعم الجديدة فيها فتقطع كل الاغصان المستبكة حتى لا يبقى في الشجرة الا الاغصان والقضبان التي تصل اليها اشعة الشمس ويجري بينها الهواء بسهولة ولا يجوز ان يبقى في الشجرة غصنان او قضبان واحداهما يماس الاخر . ويعتني وقت التقليم بمنظر الشجرة حتى يكون منتظماً

واذا لم تحمل الشجرة بعد تقليم اغصانها المتوالي فلا بد من تقليم جذورها وذلك بان يحفر حول اصلها على بعد اربع اقدام منها حفرة تحيط بها عرضها نحو قدم وتقطع كل الجذور الصلبة التي تعترض هذه الحفرة بمقص الجناثن او بسكين ماضية فان الجذور الصلبة اي التي لا جذيرات كثيرة فيها لا فائدة منها للشجرة وانما الفائدة من الجذور التي فيها كثير من

الجذيرات الصغيرة . وبهذا العمل يترد الخصب الى الشجرة وتصبح كثيرة الثمر
قال بعضهم كان عندي شجرة تفاح لم تكن تحمل سوى اربع تفاحات في السنة فحفر
حول جذورها في شهر فبراير الماضي وقطعت كل الجذور الصقيلة منها فلما كان اكتوبر الماضي
قطفت منها نحو ستمائة تفاحة . ويحسن بعد طمر الحفرة ان يسقط السباخ البلدي (الزبل)
حول الشجرة لكي يغذيها ويمنع البرد عن جذورها اذا كانت البلاد باردة

غرس الاشجار

الحفر التي تخفر لغرس الاشجار يجب ان تكون واسعة حتى تنبسط الجذور فيها على حينها
ولا تلوى . ثم تغطى بالتراب الناعم عن وجه الارض وتطمر جيداً

موسم القطن

يظهر من قلة الوارد من القطن الى الاسكندرية هذا العام ان الموسم قلما يزيد على سنة
ملايين وربع مليون قنطار فينقص عن الموسم الماضي نحو مليون قنطار وهو نقص كبير جداً
لذاته فوق نقص الثمن وهذا مما اوقع اصحاب الاطيان في ضنك شديد ولذلك احسنت
الحكومة صنعا في اهتمامها بارجاع زراعة التبغ الى القطر المصري لان هذه الزراعة اذا
نمت فربما يكون كبير جداً يسد مسد ما ينقص من موسم القطن

اصل القطن العففي

قال المستر بولتر نباتي الجمعية الزراعية الخديوية ان السروليم ولكس اخبره عن كيفية
تولد القطن العففي في القطر المصري وهي ان القطن القديم الاسمر الذي كان يزرع في مصر
(ولعل القطن الاشتموني) زرع في جزيرة في بلدة مت عفيف على فرع دمياط وارض هذه
الجزيرة رملية يغمرها ماء النيل وقد رآها مغمورة سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٧ وكانت نتيجة
انفجارها بالماء ان المزارعين لم يتمكنوا الا من جمع اللوزات التي فتحت بدريا والسبب
في تفتيحها قبل غيرها راجع اما الى خاصية في بعض النباتات لتتفتح قبل غيرها او الى
مؤثرات اخرى ومن تلك اللوزات كان يؤخذ البذار (التقاوي) للسنة التالية وباستمرار
انفجار الجزيرة واخذ التقاوي من اللوز البدري تكاثر هذا الصنف من القطن وهو القطن العففي
ولكن الذين يتذكرون العففي القديم والعففي الحالي يقولون انه تغير عن اصله وفقد

خاصة التفتيح البدرى التي كانت له وسبب ذلك اختلاط بزوره ببزور غيره من القطن وتلفح بعضها من بعض وزد على ذلك ان القطن العفيف لم يكن نقياً اي لم يكن كله حاوياً على الصفات الجديدة التي تولدت فيه بل كان بعضه حافظاً لصفاته القديمة اي تأخر البلوغ فعاد الى اصله وهذا السبب الاخير كافٍ لعود العفيف الى اصله ثم قال ان الطريقة الاسهل للحصول على صنف من القطن ينضج باكراً هي انتقاء اللوزات البدرية التفتيح واخذ البذار (التقاوي) منها فقط . وهذه الطريقة تفيد ايضاً في منع انتشار القطن الهندي اذا اخذت التقاوي من الجمعية الاولى لان القطن الهندي لا ينضج باكراً فالجمعية الاولى تكون خالية منه

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

زراعة البصل والبطيخ والبايما والملوخية

البصل — يزرع البصل في كل انحاء القطر المصري ما عدا جهات طيبة العليا ونواحي الدلتا السفلى . فتحث الارض اولاً ثم تسوى بمجذع نخل وتقسّم الى مربعات بنفقة قليلة ويزرعون البصل في الاراضي التي تروى مباشرة بمياه الفيضان بعد استغلال الحنطة والبرسيم وسائر الحبوب فيحفرون اثلاماً صغيرة يلقون فيها البذار (التقاوي) . ويمكن لعشرة اقدار ان يتقوا ما يلزم من العمل لزراعة فدان في يوم . فيزرعون فيه $\frac{1}{4}$ من الاردب بزراً . واذا كانت الارض التي يزرع فيها مرتفعة يسقونه كل اسبوع مرة . وبعد ٥٠ او ٦٠ يوماً من زراعته ينقلون البصل الى غيط آخر يكون قد حرث ثلاث دفعات . وما ينقلونه من فدان واحد يكفي لزراعة اثني عشر فداناً

ويقلمون البصل اخضر في اوقات مختلفة ويابساً بعد نقله بثمانين او تسعين يوماً وتبلغ غلة الفدان من ٢٠ الى ٣٠ اردباً يباع الاردب منه بثلاثة فرنكات في اسيوط والمنيا ويبلغ ثمنه ٦ فرنكات في ضواحي قنا من حيث يصدر منه جانب عظيم الى بلاد العرب بطريق القصير . وتؤخذ الضرائب على البصل نقداً بمعدل عشرين فرنكاً على الفدان

البطيخ — يزرع البطيخ في جزائر النيل وعلى شواطئه بعد انكشافه في زمن التجارب . وفي اكثر الاماكن تكون هذه الشواطى كمخدرات كثيرة الميل مغطاة بطبقة من الرمل الناعم . فيزرعون البطيخ ضمن حفر يحفرونها فيها متجاذبة قائمة الزوايا طول الحفرة منها متر وعرضها عشرون سنتيمتراً وعمقها كافٍ لحفظ رطوبة الماء الذي يتجلب اليها من الداخل او

او يجز اليها من النيل . ويتقون سفي الرمال على مزروعات البطيخ في بدء نموها يجواجز من القش تدفع عنها الرمال وثقيها حر الشمس معاً . وتنتج كل نبتة عادة ثلاثة رؤوس او اربعة وفضلاً عن الجزر وشواطيء النيل يزرع البطيخ احياناً في الاراضي الواطئة المجاورة للثرع حيث تبدي زراعته في اوائل فبراير فيمفرون حفراً متباعدة بعضها عن بعض يعمون في كل منها حفنة من زبل الحمام يتركونها مكشوفة نحو عشرة ايام ثم يزرعون التقاوي بمعدل $\frac{1}{8}$ من الارذب للفدان

وقد يبلغ جنى الفدان من البطيخ ٩٦ فرنكاً ويهبط احياناً الى ١٢ او ١٥ فرنكاً ويجود البطيخ في لسان الارض الفاصل بين بحيرة البرلس والبحر المتوسط حيث يزرعه اهالي قرية بلطيم بمقادير كبيرة وبيعونه في الاسكندرية ورشيد ودمياط وخلافها الباميا والملوخية - تزرع الباميا مرتين في السنة احدها في مارس والاخرى في يوليو وغلة الفدان منها في جهات قنا من ٦ غروش الى تسعة يومياً مدة ثلاثة اشهر وتزرع الملوخية في ازمدة واما كن مختلفة وغلة الفدان منها يومياً نحو ستة غروش الى سبعة وبلغ مال البساتين التي تزرع خضراً وبقولاً من ١٦ فرنكاً الى ١٩ فرنكاً سنوياً وتقتضي زراعة النباتات البستانية بالتعب الدائم في سقيها والاعثناء بها فتزيد بذلك نفقاتها

عجز الصادرات الزراعية

انتهي العام وظهر العجز الكبير في قيمة صادراته فقد بلغت ٦٧٣ ٣١٥ ٢١ جنيهاً وكانت في العام الذي قبله ١٣١ ٨٥٠ ٢٨ جنيهاً والفرق بينهما ٦٩٧ ٥١٢ ٦ اي نحو ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهاً المصرية . واليك جدول ام الصادرات وما في قيمتها من العجز

| الفرق | سنة ١٩٠٨ | سنة ١٩٠٧ | |
|---------|----------|----------|------------|
| ٦٥٠٦٢٣٢ | ١٧٠٩١٦١٢ | ٢٣٥٩٧٨٤٤ | القطن |
| ٨٤٠٦٦ | ٢٤٧١٠٠١ | ٢٥٥٥٠٦٧ | بزره القطن |
| ٥٠٣٣٠ | ٥٣٦٤٦ | ١٠٣٩٧٦ | الكتان |
| ١٣٨٣٤ | ٨٥٦٦٥ | ٩٩٤٩٩ | البيض |
| ٩٨٥٢ | ٩٧٩٣ | ١٩٦٤٥ | الفول |

وزادت قيمة الصادر من البصل ٣٦٤٠٨ جنيهاً ومن السكر ١٨٠٤٣ جنيهاً . وتقصت قيمة الصادر من العاج والصمغ العربي ولعل سبب ذلك كثرة صدورهما من بورت سودان

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما يهم اهل البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

طحن القمح

ضمنا منزل مع جماعة من الادباء فيجاذبنا اطراف الحديث واستوقفني سؤال لاحد هم وهو لماذا يكون الدقيق المطحون بوابور ذا لون ابيض ولزوجة ويزداد حجمه حين عجنه وله طعم وخواص مميزة له عن المطحون في وابور آخر . فالعامة تعلق ذلك بلون الحجر اي اذا كان لونه ابيض كان دقيقه ابيض والضد بالضد

اما الحقيقة العلمية فغير ذلك وقبل بيان السبب يلزمنا ان نعلم كيفية تركيب الدقيق فدقيق القمح الجيد لونه ابيض مائل الى الاصفرار ناعم عند اللمس اما التجاري الوارد من الخارج فاغلبه مخلوط بدقيق البطاطس واللوبياء وغيرها من الحبوب والبقول التي هي ارخص من القمح . ولتحص هذا الدقيق يكفي ان يرى بالنظارة المعظمة فان حبيبات كل دقيق تظهر مختلفة الحجم والشكل عن نظيراتها لا سيما اذا بليت بالماء وايضا اذا عولجت باليود فيظهر لكل دقيق لون مختلف عن الآخر . اما التحليل المنزلي فيدل على ان الدقيق مكون من دقيق ناعم ونخالة واما التحليل الكيماوي فيدل على ان فيه مواد آتية متعادلة بنسبة ٧ في المئة الى ١٥ في المئة كالجولتين والالبومين (الزلال) والفبرين والكاسين . ومواد متعادلة غير محنوية على الازوت كالنشا والدكسترين والجلوكوز

وفي نخالته اولا مواد دسمة وزيت عطرية خصوصية . وثانيا املح معدنية كصفات الجبر وفصفات المانيزيا واملاح البوتاسا ومواد نشوية

فالجولن مادة لزجة مرنة غذائية وهي تحتوي على عدد كبير من الحبيبات المجمعة بعضها مع بعض في شكل الياف داخلها جولتين واليومين وسكر ولعاب نباتي ونشاء

والالبومين مادة هلامية بيضاء وهي التي يتكون منها زلال البيض ومصل الدم والشعر والاظافر والغضاريف وتدخل في تركيب العين والنخ وهي التي تعطي للدقيق الخواص والمزايا المطلوبة آنفا

والفبرين مادة بيضاء صلبة او سنجابية عديمة الطعم والرائحة مرنة وهي تدخل في تركيب الدم وتكوين لحم العضلات

والكاسين مادة بيضاء عديمة الطعم والرائحة وهي التي تتحد من اللبن وتصبح جبناً والنشاء مادة بيضاء توجد في الحبوب والبقول وتركيبها فيهما واحد . وهي التي تعطي الدقيق لونه الابيض

والدكسترين مادة بيضاء مائلة الى الاصفرار السنجابي تحصل من النشاء اذا سخن الى ١٦٠ وتركيبها كتركيب النشاء اذا تركت عجينة النشاء فتسحق الى دكسترين خصوصاً في فصل الصيف الحار

والجلوكوز من الدكسترين المعالج بالحامض الكبريتيك المركز . وكل منهما مغذٍ والنخالة مغذية ومساعدة على نمو العظام لا حوائثها على الفسفات والاملاح ومن هذا يرى ان العجين ذا العرق هو الذي في دقيقه مادة الالبومين والنشاء بنسبة اكثر مما هما في الدقيق الذي ليس له عرق والسبب في ذلك سرعة ادارة حجر الطاحون عن المائدة دورة في الدقيق الواحدة لانه بازديادها يزداد الاحتكاك والحرارة فيجهد جزء من الالبومين وتعدم خواصه ويستحيل بعض النشاء الى الدكسترين وهذا هو السبب في الفرق بين دقيق الطاحونين . ولهذا قد استعمل من زمن نوع من طواحين الغلال لا يسخن الدقيق وتظن فيه الحبوب باسطوانات من الفولاذ ولكن دقيقها قليل فقل استعمالها مع ما لها من المزايا الميكانيكية والفوائد الكيماوية

فابق جرجس

مهندس محل ستيمن ومباردي

الملح في الطعام وضرره

الشائع ان الملح ضروري للطعام وكل طعام يملح بملح وان الانسان لا يعيش من غير ملح ولقد كنا نسمع في صغرتنا قصصاً يقال فيها ان قوماً من الاسرى اجبروا على اكل طعامهم من غير ملح فتولد الدود في ابدانهم وقتلهم . وهذه القصص موضوعة فان بعض هنود شمالي اميركا لم يكونوا يملحون طعامهم بالملح ولا يزال جمهور منهم يعيش من غير ان يملح طعامه . وكثيرون من سكان اواسط افريقية لا يملحون طعامهم . والناس الذين يملحون طعامهم متفاوتون جداً فبعضهم لا يأكل شيئاً الا وفيه كثير من الملح وبعضهم يكره الملح حتى في الطعام الذي لا يؤكل عادة الا مملحاً به . ونحن نعرف كثيرون لا يأكلون الموز ولا التفاح ولا البرتقال الا

وفي ملحمة بكثير من الملح مع ان اكثر الناس يأكلون هذه الاثمار من غير ملح او مدرراً عليها السكر بدل الملح

والظاهر ان استعمال الملح عادة يعتادها المرء فيصير يشعر بالحاجة اليه والحيوان قد يعتاد اكل الملح كما يعتاده الانسان فيصير يستطيعه ويفتش عنه ولكنه اذا لم يعتده لم يعتاد به فترى المواشي التي اعتادت لحس الملح تستطيعه جداً والمواشي التي لم تعتده لا تلتفت اليه والاولى ليست اصح من الثانية

والملح مهيج للغشاء المخاطي فاذا اذبت بالماء ومصصته بانفك كثر افراز المخاط منه فهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الانف فاذا اكثر الانسان من استعمال الملح فلا بد من ان يصبه منه زكام مزمن في معدته وامعائه . والمقدار الكبير من الملح مقيء ومسهل لهذا السبب عينه . ويقال ان بعض امراض القلب والكليتين مسبب عن الاكثار من اكل الملح ولذلك يستفيد المصابون بامراض الكليتين من الافتصار على اكل اللبن لانهم يمتنعون بذلك عن اكل الملح وهذا هو السبب في فائدة الافتصار على اكل العنب ولا دليل مطلقاً على ان ملح الطعام لازم للهضم لان الطعام يهضم بدونه وفي الاطعمة الطبيعية ما يكفي من الاملاح . وقد قدر بعضهم ان الملح الذي يجوز ان يأكله الانسان في اليوم يجب ان لا يزيد على ثلاثين قحمة فاذا زاد على ذلك اضطرت الكليتان واضطرت الجلد الى افراز الزيادة . فالقليل من الملح مفيد ولكن الكثير منه ضار

ثم ان الاكثار من الملح يدعو الى العطش كما لا يخفى لان الملح يخرج السوائل من الجسم فيشعر بالحاجة اليها

والخلاصة ان الاكثار من الملح لا يخلو من الضرر والافلال منه لا يضرب بل ينفع

السكر ومضاره

السكر طعام مفيد جداً اذا كانت كميته معتدلة ولكنه اذا زاد عن الاعتدال زاد ضرره على نفعه . ومن نتائج الاكثار منه السمن الزائد وحصاة المرارة واليرقان وامراض الكبد والبول السكري ومريض يربط وسوء الهضم وتعدد المعدة ولا سيما اذا بلغ السكر قبل ان يمزج باللعاب المزج الكافي . ولكن اذا اكل السكر بالاعتدال ومزج باللعاب جيداً قبل ازدراده فلا ضرر منه . ولا بد من مزج السكر والاطعمة السكرية باللعاب جيداً سواء كان السكر كثيراً او قليلاً والا فحمض في المعدة واضر بالصحة وسبب اضطراباً في الكبد والكليتين وزكاماً

في المعدة وانتشر الزكام منها الى كل الاغشية المخاطية في الحلق والانف والعينين والشعب والكبد. وما قيل عن السكر يقال عن الاطعمة النشوية على انواعها فانها كلها تضر اذا زادت عن الحاجة او لم تخرج باللعاب جيداً

وما يقال عن السكر الاعنيادي اي سكر القصب لا يقال عن سكر الاثمار اي المادة الحلوة التي في الاثمار الناضجة كالغلب والنين والتفاح لان سكر الاثمار سهل الهضم ولا ضرر منه. والمصابون بمرض البول السكري يمكنهم ان يأكلوا الاثمار الحلوة ولا يضرها منها لان الجسم يمتص سكر الاثمار بسهولة

وكذلك العسل ينفع ولا يضر وهو انفع انواع السكر الطبيعية ولذلك فالذين يجدون من انفسهم ميلاً شديداً الى اكل الاطعمة المحلاة بالسكر الكثير يستطيعون ان يأكلوا بدلاً منها الغلب والنين والتمر والزبيب والعسل وان يقللوا من السكر ويعتنوا بمضغه حتى يمتزج باللعاب جيداً فيزول ضرره

بالتقريظ والانتقاد

كتاب مشهد العيان

بحوادث سوريا ولبنان

لما كتبنا تاريخ الجزائر وابراهيم باشا اشرفنا الى كتاب كتبه المرحوم الدكتور ميخائيل مشافه واقتبسنا جانباً كبيراً منه في ذينك التاريخين وفي رواية امير لبنان التي ألفناها والحققناها بالمقتطف. وقد اقتصرنا في كل ما اقتبسناه على ما نظن ان المؤلف رحمه الله كان يود نشره لوبي حياً الى الآن لانه قد يكون بين ما يكتبه الانسان في مذكراته لعائلته وبين ما يسمح بنشره للامم كبير. وما كل ما يخال يقال ولا كل ما يكتب في الاوراق يحسن نشره في الآفاق. والظاهر ان نسخة من ذلك الكتاب وقعت لحضرة الاديبين لمحم افندي خليل عبده واندراوس افندي حنا شيخا شيري فطبعها ومماها مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ويظهر لنا انها حذفاً من الكتاب اموراً حرة بالذكر كوصف ما عانته عائلة مشافه بعد نكبة الجزائر لها وابقيا فيه اموراً حرة بالحذف في حوادث دمشق ولبنان

كتاب ثمار القلوب

في المضاف والمنسوب

من تأليف ابي منصور الثعالبي طبع حديثاً بمطبعة الظاهر بمصر
لما تناولنا هذا الكتاب لتقريظه قرأنا بعض فصوله فاعجبنا ما فيها من الفوائد التي يعزُّ
الوقوف عليها في غيره الى ان وقع نظرنا على الصفحة ١٢٣ وقرأنا بعض ما فيها فطرحننا
الكتاب من يدنا واستغفرنا الله على ما نشرناه في المقتطف من ترجمة الخليفة المأمون في
الجزء الخامس من السنة الماضية وقلنا اين احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربية في
الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ .
وباطاعي الكتب العربية نناشدكم الله ان تعدلوا عن نشر هذه القبائح فاننا من احوج
الناس الى نسيانها

رحلة الحبشة

هذا الكتاب من انفس الكتب التي وقع نظرنا عليها في هذه الاثناء وهو رحلة الفريق
صادق باشا العظم الى بلاد الحبشة موفداً من قبل الحضرة السلطانية بهدية الى امبراطور
الحبشة . والظاهر انه وضعهُ باللغة التركية وعربه ابنا عمه رفيق بك العظم وحقي بك العظم
وقد جمع المؤلف فيه وصف الطريق وما رآه فيها من البلاد والمناظر الطبيعية ومن لقيمهم
من الرجال والنساء وامهه في وصف اديس ابابا عاصمة الحبشة وامبراطورها وروساء رجاله
وتاريخ بلاد الحبشة من اول عهدها الى الآن . واورد كل ذلك استطراداً حتى كدنا
نقرأ الرحلة كلها ونحن لا نقصد الا ان ننظر فيها نظرة عامة لتقريظها . وقد شاقنا ما فيها من
وصف مدينة هرر وقصر الراس ما كونن قال ان المدينة مكتنفة من كل جوانبها بالرياض
القناء والاكام الخضراء فهي تشبه دمشق الشام او تشبه قصرًا كبيراً قائماً في وسط حديقة
واسعة الاطراف ويزرع في حدائقها قصب السكر والموز والبن والعنب والليمون والبرتقال
والقرع والخيار والباذنجان واللوبياء وما اشبه ولكل منزل فناء واسع مكشوف وفيه الاشجار
الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فتزين منظر المدينة وتزيد في رونقها

ويبلغ سكان المدينة ٤٠٠٠٠ نفس المسلمون منهم ٣٥٠٠٠ والباقيون خليط من
الاحباش والافرنج والارمن والروم ويظن الانسان لاول وهلة ان الحر فيها شديد جداً

لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ متراً عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل هواءها معتدلاً لطيفاً جداً وقد قال لي القناصل الذين هناك ان درجة الحرارة لا تتجاوز الستة والعشرين في فصل الصيف لان هواءها يعتدل بسقوط الامطار الغزيرة كما يعتدل برد فصل الشتاء بحرارة الشمس وفصل المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الجبشية هو الصيف اما فصل الشتاء فلا يقع فيه مطر ويبتدئ وقوع المطر في مايو وينتهي في اواخر سبتمبر ويبلغ اغزره في يونيو ويوليو واغسطس وبعد ان اسهب في وصف السكان ومتاجرهم واستيلاء الاحباش على هور انتقل الى وصف القصر الذي نزل فيه ضيفاً وهو قصر الراس ماكونن فقال انه مشيد في اعلى نقطة من المدينة وليس بنى انبثتها ما يماثله في الفخامة والانتظام والمقانة وهو ثلاث طبقات من الحجر وفيه كثير من الغرف والبهوات والشرفات يضيء في شكله منازل الاستانة واوربا وغرفة متسعة ونوافذها صغيرة بالنسبة الى اتساع الغرف لكي لا يكون النور الداخل منها زائداً عن اللزوم وقد طليت الغرف من الداخل بالنقوش والالوان غير الزاهية وفرشت بالطنافس الشرقية ووضعت في جهز الاستقبال الكرامى ذات الايدي والمنكشآت والموائد وفي صدر الغرفة رسم الامبراطور منليك مرفوعاً تحيط به الاعلام الجبشية وعلى اطراف القصر فضاء واسع مسور جعل قسم منه حديقة والقسم الآخر الى الجهة الامامية ترك كفناء للقصر ووصف المراحل مرحلة مرحلة وما لقيه فيها الوفد السلطاني من الحفاوة والاکرام فان الامبراطور كان قد امر السكان ان يحنفوا بهذا الوفد جهدهم فكانوا يأتونه بكل ما يحتاج اليه من مواد الطعام والشراب كاللذاج والبيض والاثمار وهم يحسبونها من الاموال الاميرية التي تدفع للحكومة وبالبلاد على غاية الخصب مروجها ونجودها والمزروعات على غاية النماء فال في وصف مرحلة بككا : - قمنا اليوم (١٧ مايو) باكراً وبينما كنا نشرب القهوة وتناول المرق ونسرح الطرف في تلك الحقول البديعة التي تحاكي الجنان وتأمل في طلوع الشمس اذ رأينا مرب نساء من القاللا يبلغ عددهن العشرين سائرات في الحقول البعيدة وصوت غنائهن واصل الينا وبعد السوال علمنا ان هؤلاء النسوة ذاهبات الى اشغالهن في الحقول وفي هذه الاثناء اشرفت الشمس من وراء الاكمة ونشرت اشعتها النيرة على نسيم الصباح الرطب فكان المنظر بين جمال الهضاب الزردية وشروق الشمس وغناء النساء بهيجاً بديعاً لا يستطيع وصفه الا الشاعر البليغ او المصور الماهر ثم قال وبعد ان مرنا مرة في اراض مزروعة اخذنا نسلقى اكامات جبل فلوبي فصرنا

ارى نفسي كأنني في جبال سويسره او جبال الاناضول وغاباتها وكنا نرى من اشجار
الرايننج والصنوبر ما يزيد علوه على ٢٥ متراً ومن اشجار العنص ما ينيف طوله على ١٥ متراً
ومن اشجار الزيتون والجوز ما يزيد جسامه عن جسامه الدلب. والارض تحت هذه الاشجار
منظرة بطيقة خضراء من الحشائش كالزمرّد هذا عدا الاشجار الغريبة الجنس التي لانعلم اسماءها.
والطيور التي تنتقل بين الاغصان كثيرة الاصناف كاصناف الشجر وكلها تفرد باصواتها
الشجيّة حتى كأن يد القدرة خلقت هذه الغابات لتكون معرضاً او نموذجاً للاشجار والاطيار
ولم تكن نخناج الى فتح المظلة لاننا لم نكن نرى اشعة الشمس الا نادراً من خلال الاغصان
وبعد ان سرنا ثلاث ساعات ونصف ساعة وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات
ودخلنا بين حقول الذرة نزلنا تحت بعض اشجار الرايننج وجلسنا على الطنافس التي كانت
معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعة وكنا نرى كثيراً من المعز ترعى في هذه الحقول
والغريب من امرها انها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل ما تجده من الحشائش النامية بينها
والوصف على هذا النسق لسبع وعشرين مرحلة فمن يعرف بلاد السودان وقفارها المحرقة
والصحاري التي تحيط بوادي النيل يظن ان بلاد الحبشة على هذا النسق ولكن يظهر من هذه
الرحلة انها من اجمل بلدان الدنيا وان الاحباش ليسوا في درجة التوحش التي يصورها لنا
الوهم ولكنهم لا يزالون بعيدين عن حضارة البلدان الراقية

ووصل الى العاصمة اديس ابابا في ٣ يونيو ووصف دخوله اليها فقال
استيقظنا اليوم (٣ يونيو) مبكرين واخذ كل منا يتهيأ ويلبس استعداداً للدخول الى
عاصمة الحبشة وبعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب العربي
فاصدين (جولا) وبرفقنا جم غفير من المستقبلين وبعد قليل اقبل علينا كثير من اعيان
الهنود والاحباش والمسلمين الوافدين من العاصمة وكانوا راكبين على خيول مطهمة وعليها
السروج المزركشة ومرتدين بانغر اللباس وهم يطلقون بنادقهم في الهواء ترحيباً بنا. ولما
اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء
للخضرة السلطانية وبعد ان تم الدعاء اخذوا يرشون المياه المعطرة علينا ويعطون لكل منا
باقة من الزهر ومناديل حريرية ذات روائح عطرية وعلقوا على رأس الحصان الذي كنت
راكباً عليه طوقاً من الزهر ثم استأنفنا السير جميعاً وبعد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من
المستقبلين وهكذا اخذت الوفود تكثّر الى ان قربنا من (جولا) فلاح لنا على بعد بضع
مئات من الامتار المسيو (ابلغ) السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور منليك

ومستشاره الخاص ومعه ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجاله عن الخيل فخرجنا نحن ايضاً وبعد التحية ابلغنا ان جلالتهم يهدبنا تحياته الخصوصية ثم قال ان الحكومة الحبشية مستقبلة الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود ورجال الحبشة وبعد ان انتهى ذلك استأذنت الميسو (ابلق) بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوتهم ان يقدم ويعرض بالتلفون شكرهم العظيم لجلالتهم ثم ذهب ونصبنا نحن الخيام والصواوين ونزلت قافلتنا هنا لقضاء هذه الليلة واخذت ترد الوفود افواجا افواجا من اديس ابابا وكان بينهم هذه المرة كثير من الارمن والاروام وفي الساعة الثالثة ونصف صباحاً جاء الميسو ابلق والمندوبون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع الحرس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجودة في اديس ابابا واخذ الميسو ابلق يعرفنا بالذين جاءوا معه وكان بينهم من الاحباش (راس ولدي) حاكم مقاطعة الجرد السابق والنائب الامبراطوري الآن (وغراج كزو) و (فيتواري آبردي) قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيله (دجاج آباتا) ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن المنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصري والشيوخ ابو زرعة والحاج محمد ابو بكر . وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل واخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم تقطع مسافة طويلة حتى قدم علينا الميسو مارتن ده كا المحقق الحربي في فرنسا لابسة ملابس الرسمية لاستقبالنا من قبل الميسو لاغرد السفير الفرنسي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين الميسو ابلق والميسو مارتن ده كا وتارة بيني وبين راس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كمرودة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين اتوا من اديس ابابا لاستقبالنا باللبسة الرسمية الحربية فعلى رؤوس اناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين قتلوا اسداً) ومنهم من هو وازع على رأسه خوذة يتدلى منها على وجهه وصدره حلقات وسلاسل دقيقة ومنهم من هو معلق في اذنيه اقراطاً وآخرون لابسون اساور في معاصمهم وكل من هذه الاشياء علامة فارقة وبمثابة وسام . واما الجنود فانهم كانوا اخفاء الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا يرفقتنا فانهم لابسون في ارجلهم حذاء من لباد مخبئين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا اديس ابابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملاءى وغاصة بالناس وقد خرجوا ليتفرجوا على دخول الوفد السلطاني ولبروا (الجننار التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى المنزل الخاص بنزلنا فترجلنا وصاغت المستقبليين وشكرتهم وطلبت الى كبار المستقبليين ان يعرضوا شكرى لجلالة الامبراطور والامبراطورة ثم دخلنا منزلنا وانصرف رجال الحكومة الى منازلهم

ولم يكن النجاشي وقتئذ في عاصمته بل كان في مصيفه في محل يسمى اديس علم وهولنا ببني بعض قصور منذ مدة . وقد اخذت رأي المسيو ايلغ في الذهاب الى المحل المذكور لاداء ما علينا فقال لي انتم الآن في حاجة الى الراحة من التعب الذي نالكم من هذه السفرة البعيدة وان النجاشي سيحضر بعد بضعة ايام الى اديس ابابا بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني والمنزل الذي نزلنا فيه ملك الحاج احمد افندي الذي مر ذكره آنفاً قد خصصه الامبراطور لنزلنا فيه بناء على التماس احمد افندي من جلالتهم وكان الماء كل والمشرى وكل ما يلزم لنا يأتي من قصر النجاشي . وكانت المؤن التي ارسلت اليوم عبارة من عجل كبير وثلاثة خراف كبيرة وثلاثة خراف صغيرة (قوزي) ومائة رغيف من الخبز وخمس جرار من المشروب المسمى (تيج) وقدرة كبيرة من السمن وقدرة اخرى من البربري (وهو صالصة الفلفل الاحمر المقلي) واشياء اخرى . وقد ارسل محمد ابو بكر على طريق الهدية ثوراً وثلاثة خراف وثلاث قزايز من الشراب

ومنزلنا هذا ذو دورين مع ان جميع منازل اديس ابابا ما فيها الا دور واحد فقط ومنزلنا هو كبير على اطرافه شرفات واسعة والمنزل امام ساحة واسعة حيث تقام سوق المدينة واليهو الذي كان طوله ١٥ متراً وعرضه ٨ امتار كان مفروشاً بالطنافس الجميلة وابوابه وشبابيكه مزينة بالسقائر المزركشة التي نراها عند بائعي الآثار القديمة (الانتيكات) في الاستانة . وقد عمل صاحب المنزل الحاج احمد افندي كل ما في وسعه وأحضر كل ما يلزم لراحتنا وكان على مرور عظيم من وجود الوفد بمنزله يستقبل الزائرين بوجه باش وينظر اعمال الخدمة والطهارة ومحضري القهوة والخوانات (سفر الاكل) وبالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسه والناس من حوله تهنئته على نزولنا في منزله . وقد سافرت كثيراً وجلت في بلاد كثيرة فلم ارا اكراماً بهذه الدرجة

وبعد ان اسهب المؤلف في ذكر تاريخ الحبشة واتي على امور كثيرة متعلقة بها وصف كيفية مقابلة الامبراطور له فقال

كان اليوم موعد مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما اصبحنا ارتدينا اردبتنا الرسمية الكبرى وقبل ان نذهب ارسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبهم رجل ارسله الميسو ابلغ . وبعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظراً ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس وبينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يمشطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر وبعضهم مصطفون في الطريق

ويرى الرائي هنا انواعاً كثيرة من الالبسة الرسمية (التشريفة) ويمشي امام اكابر الاحباش عبيدهم يحملون احسن اسلحتهم من رمح او ترس او حربة ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسد والنور فتتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر الغريب لاول وهلة انه يرى امامه انساناً في شكل اسد او نمر بينما كنت امسح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في اول الشارع جنداً يقرب عددهم من الف قادمين علينا وبعد قليل وصلت هذه الاورطة (ظابور) ثم جاء الميسو ابلغ ورأس ولدي وغراج كرو مدير القصر الملوكي واحد قرناء الامبراطور وفيتوراري ردى احد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليوافقونا وكلهم بالاردية الرسمية

وفي الساعة الثالثة ركبنا وسرنا فاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكرية مؤلفة من نايات وزمر وبعض آلات لا اعرفها . وكانت الطرق وسطوح المنازل والشرفات والدكاكين غاصة بالناس الذين كانوا يحيطوننا وكان بعض المأمورين ييدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة اخرى والساحان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثانية كانت بطارية مدافع واقفة تؤدى التحية باطلاق البارود . وبعد الساحة الثانية وجدنا امرأة كبيرة جداً وهنا يوجد البهو الملكي الكبير المسمى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالساً على عرش جسيم وهو محاط بجاشيته ورجال بلاطه وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو اخذت المدافع تدوي فقام الامبراطور حينئذ ثم جلس ولما اقتربنا منه انتصب قائماً للمرة الثانية فقمت امام جلالة بخطاب وجيز في ما يخص مهمتي التي اتيت من اجلها ثم اعطيت الكتاب السلطاني والنبشان فأخذها مني بكل تجلة واحترام وفاء بعبارات الشكر للحضرة السلطانية . وبعد ان تمت هذه الرسوم

اشار بيده الى مقعد امام العرش الملكي كان احضر بصفة خصوصية فجلست عليه . وبعد ذلك اخذ جلالته يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبتا في الطريق ام لا . وبعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسه واحدة واحدة ويظهر مزيد سروره . ثم اخذ يشرح امثاله وشكره للحفرة السنية السلطانية التي تفضلت واكثرت بجلالته (اي بالامبراطور) . واما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي وبسط من صنع فابريقة حركة السلطانية واقشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة وكلها من احسن ما صنع وابدع ما عمل كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيه ما عدا ثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ماكونيني ورأس جورجيس ورأس نسما . وقد عرفني بهم الميسو ابليغ الذي كان يؤدي وظيفة الترجمان فتصافحنا وشكرت للرأس ماكونين ما رأيت من الاكرام في منزله بهرر

ودامت هذه المقابلة نصف ساعة تكلمنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضيع مختلفة وكان جلالته مرتديا بالملابس الرسمية ومتقلداً وساماته المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعاً على العرش بجانب جلالته . وكان على رأسه كوفية بلبسها دائماً حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقية (مربع) وحوله الوسائد ينكس عليها

تاريخ الحضارة

اهدي الينا صديقنا العالم الفاضل محمد افندي كرد علي منشي مجلة المقتبس الجزء الاول من هذا الكتاب وقد ترجمه عن الفرنسية وطبعه طبعاً مثقناً . وباجذا لو وضع فيه اسم المؤلف بالحروف الفرنسية وتاريخ طبع النسخة التي ترجم عنها لان الثقة بهذه الكتب تختلف باختلاف الزمن الذي وضعت فيه او طبعت فيه . ويظهر لنا من استضعاف المؤلف دليل اللغة على الجنس انه متابع لمذهب وجيه من المذاهب العلمية وهو المذهب الذي اتبعه الاستاذ دجواي رئيس قسم الاثروبولوجيا في خطبة الرئاسة التي القاها في الصيف الماضي

وفي هذا الجزء كلام وجيز على عمران المصريين والاشوريين والبابليين والفينيقيين والامراتليين والفرس وقد وقع كل ذلك في ٥٧ صفحة وكلام مسهب على عمران اليونان والرومان وهو باقي الكتاب والكلام على اديان هذه الامم سقيم كان كاتبه لم يطلع على مباحث علماء الاديان الانتقادية

بَابُ الْمَسْئَلَاتِ

فمنها هذا الباب منذ أول انشاء المقتطف ووعداً فن نجيب فيه مسائل المشركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يضي مسألة باسمه والقابو ومحل اقامته امضاً وانصفاً (٢) ان لا يرد السائل النصيح باسمه عند اشراج من الوفيلد كر ~~...~~ لنا ويعين حروفاً تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم ينس السؤال بعد شهرين من ارساله اليها فليكم ره سائلة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كاف

(١) اصابة العين وتأثير الوحام

جرجا . اسكندر افندي مشرقى . ارجو جنابكم التكرم بافادتي عن السؤال الاتي واكرر الرجاء ان لا تحيلوني على اعداد المقتطف السابقة لان الاعداد ليست محفوظة عندي والسؤال هو

ذكر في الكتاب المقدس كلمة "عين شريرة" ويفسر البعض هذه الكلمة بان بعض العيون تؤثر في المنظور اليه بما يقال له الحسد (الاصابة بالعين) ويؤيد البعض هذه المسألة ايضاً بشواهد كثيرة من الحوادث الواقعية . وقد ورد في الكتاب ايضاً في مسألة يعقوب عند رعايته لغنم خاله لابان ان الغنم ولدت حسب الشكل الذي كان يضعه امامها عند شرب الماء

ويوافق هذا ايضاً ما نراه من توحم النساء وتأثير ما يربيه من الاشياء في اجسام اجنثهن اثناء الحمل — فقالوا كما ان العين تتأثر مما نراه لا بد ان تؤثر في ما نراه بما يقال له الحسد المعروف باصابة العين . غير

اني لم اربها نأ علمياً يؤيد هذه المسألة فارجو الافادة هل هذا الحسد حاصل فعلاً وهل ما تراه الحامل يؤثر في جنينها

ج . لم يقم حتى الآن دليل علمي على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير ما تراه الحامل في جنينها على نحو ما جاء في قصة يعقوب ولابان اي ان العلماء الذين امتحنوا الاصابة بالعين وتأثر الجنين بما تراه امه لم يروا ما يؤيد هذا ولا ذاك . ومعلوم ان النتيجة السلبية لا تنفي امكان حدوث الحوادث المقول انها حدثت ولكنها توفع الشك فيها . واذا تكرر الامتحان وبقيت النتائج سلبية قوي هذا الترجيح حتى صار في درجة اليقين ويحسن حينئذ البحث عن السبب الذي دعا الى القول الاول . فاذا قال لك قائل انه وضع مسامير الحديد في الماء القراح فصار لونه ازرق وامتخت انت ذلك فوضعت مسامير الحديد في الماء القراح فلم يزرق بل صار ضارباً الى الحمرة ارتبت في صحة قول — هذا القائل ويشته

على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير
الوحام بالجنين على نحو ما ذكر في قصة لابان
ويعقوب

(٢) الطيران وجاذبية الارض

فيدمين بالفيوم . م . ح سمعت بامر
المراكب الهوائية فخطر بالي ما يأتي . اذا
كانت الارض دائرة على محورها حقيقة
ودورها عكس دورة الشمس فلماذا لا يستطيع
راكب بالون مثلاً ان يقطع كل اقطار
المسكونة بغير ان يتحرك اي وهو متربص في
محلّه والارض تحته تدور فينزل في المكان
الذي يريد السفر اليه بغير ان يتحرك

ج . سبب ذلك بسيط جداً وهو ان
الارض جاذبة لكل ما عليها فنحن دائرون
معه في دورانها من الشرق الى الغرب سواء
وقفنا عليها او صعدنا في الهواء ولا نخلص
من جذبها الا اذا بعدنا عنها مئات الوف
من الاميال فان القمر وبعده عنها نحو
٢٣٩ الف ميل خاضع لجذبها ولذلك فاذا
صعدنا في الهواء صعوداً عمودياً ثم نزلنا وصلنا
الى المكان الذي صعدنا منه تماماً لاننا ونحن
في الجو نكون دائرين مع الارض في دورانها
على محورها

(٣) عمل المرايا

بيروت . ادوار افندي طوقانلي . ارجو
الافادة عن تركيب الزجاج الذي يستعمل الآن
عند ارباب الفن لتحويل الزجاج الى مرايا

ارتياك اذا كررت الامتحان فلم يزرق الماء
حتى تكاد تقطع بعدم صحته . ثم اذا علمت
خواص المواد الكيماوية وعرف منها انه اذا
وضع الحديد في الماء تكوّن منه اكسيد
الحديد وهو محمر اللون لا ازرقه وعلم ايضاً
ان بصر بعض الناس يكون مخلاً فيرون
الاحمر ازرق استنتجت ان مخبرك رأى
اللون الاحمر ازرق فاخبر بما رأى ولم
يقصد الخداع . ومن المحقق ان بعض الناس
يرون ما لا يراه غيرهم لاسباب لا محل
لبسطها الآن فيجربون بما رأوا

اتفق لنا في صبا ان رأينا طفلاً مريض
وقال ذوهه انه اصيب بالعين فاذا ثبت امه
رصاصه على النار وصبتها في اناء ماء فوق
رأسه فجمدت في شكل كثير المرتفعات
والتخضعات والتخاريب فنظر النساء الحاضرات
اليها وقالت واحدة منهن اني ارى فيها صورة
الرجل الذي اتى الى هنا امس مسلحاً بفردين
في منطقته ويطقان على جنبه وما هو . ورأى
بقية النساء ذلك ووافقن على قولها واتفقن
على انه هو الذي اصاب الولد بعينه . ونظر
كاتب هذه السطور الى الرصاصه وكان عمره
لا يزيد على ست سنوات فلم ير فيها شيئاً
من ذلك وبقي هذا الامر في ذهنه
دليلاً على تأثير الاعتقاد في النفوس ثم رأى
كثيراً من امثاله حتى بين اكابر العلماء والفهاء
والخلاصة انه لم يبق دليل علمي حتى الآن

ولا بد من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدم ويحسن بكم ان تراجعوا ما كتبناه عن تجاربنا في عمل المرايا . هذا اذا اريد معرفة صناعة التفضيض معرفة نظرية اما اذا اريد معرفتها معرفة عملية ومجراة اعمال المرايا في اعمالهم فلا بد من مواولة هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا

(٤) العلوم والمعيشة

سان باولو بالبرازيل . الخواجه خ . س رجل في السادسة والعشرين يشاطى الاعمال التجارية ويميل الى تعلم علم بكتسب به معيشته فهل تشيرون عليه بذلك وما هو العلم الذي تشيرون عليه به واي العلوم اصلح وما هي نفقات اكتسابها

ج اننا نشير عليه بالبقاء في اعماله التجارية ودرس بعض العلوم المتعلقة بها مباشرة كالحساب والجغرافيا وهذه العلوم يسهل تعلمها في مدرسة ليلية . اما العلوم التي تستخدم للمعاش كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق فتقتضي دروساً تمهيدية لا يظهر من سواكم ان من تشيرون اليه درسها يصعب درسها على من بلغ السادسة والعشرين . ونفقات تعلمها وتعلم فن من الفنون المتقدمة كثيرة جداً ولا سيما في اميركا حيث انتم مقيمون ولا نظن انها تقل عن مئتي جنيه في السنة مدة سنت سنوات او سبع

ج كانت المرايا تصنع ببسط ملغم من الزئبق والقصدير على لوح الزجاج وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بترسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسب اولاً بواسطة الزيوت الروحية ثم صارت ترسب بواسطة الحامض الطرطريك . ومن الطرق المستعملة لذلك الآن ان يذاب ١٢ قمح من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلي المذوب ويضاف اليه وهو يغلي ١٦ قمح من نترات الفضة مذابة في اوقية من الماء النقي ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماء حتى يصير ١٢ اوقية ويصنع مذوب آخر باذابة اوقية من نترات الفضة في عشر اواقي من الماء ويضاف اليه من ماء الامونيا حتى يذوب اكثر الراسب الاسمر ثم يضاف الى ذلك اوقية من الانكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية وحينما يراد عمل المرايا تؤخذ مقادير متساوية من المذوب الاول والثاني ويمزجان معاً جيداً وبسط لوح الزجاج على مائدة افقية وينظف جيداً بالصودا ويفسل بالماء النقي ويصب المزيج عليه وهو لا يزال رطباً فتربس الفضة منه على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان الهواء حاراً او كان تحت اللوح رمل حار . ويفسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليه فرنيش يقي غشاء الفضة من الاحنكاك

(٥) زرع التبغ

الفيوم . جرجس افندي موسى . لقد ذاع
ان الحكومة عازمة على اعادة زراعة التبغ الى
القطر المصري فنرجو ان تكتبوا لنا مقالة
ضافية في هذه الزراعة

ج لقد اجبنا سؤالكم وسؤال غيركم
في باب الزراعة في هذا الجزء

(٦) كتابة قديمة

المتن بلبنان . فاضل افندي عرنوق .
نزلت صاعقة في احد الاماكن فكشفت عن
قبر قديم ووجد فيه خاتم من نحاس عليه رسوم
ارسلنا صورتها اليكم ونرجوان تجربونا عن
اللغة التي كتبت بها تلك الرسوم

ج لا نرى انها تنطبق على لغة من
اللغات التي نعرف حروفها او هي تشبه حرف
اللام الفينيقية واليونانية القديمة مكرراً او
حرف الجيم او الفاء بالفينيقية مكرراً ونرجح
انها نقوش رمزية لا غير ونستغرب بقاء هذه
النقوش على النحاس في قبر بلبنان حيث يكثر
وفوق المطر ولا تخلو الارض من مواد يتأكل
بها النحاس وتزول النقوش عنه كما ترون في
النقود النحاسية القديمة . وعما يزيد الغرابة ان
النقوش بارزة وقلما تكون كذلك على الخواتم
ونخاف ان يكون هذا الخاتم خنفسارياً لكننا
لا نقطع بشيء من ذلك لانه يحمل ان
يكون صحيحاً وتكون الرسوم التي عليه كتابة
صحيحة بلغة لا نعلمها

(٧) صيغ الرخام

انيس افندي قربان . بينما كنت اقتطف
ثمار المعارف من جنات مقتطفكم عثرت على
نبذة في الجزء الثاني من المجلد التاسع عنوانها
تنظيف تمثال ليبيك خلاصتها ان رجلاً صنع
مزيجاً من مذوب نيترات الفضة وبرمنغنات
البوتاسيوم ورش به التمثال المذكور فاكتمس
سطحه بالنقط السوداء . وقد صنعت مزيجاً
من مذوب المادتين المشار اليهما وكتبت
به على صحيفة من نوع التمثال ثم غسلتها بالماء
فزالت المغنيسيا وبقيت الفضة مرسومة بلون
رصاصي لا اسود فكيف ذلك

ج ان الذي بقي هو المطلوب والنبذة
التي تشيرون اليها مترجمة عن الانكليزية
وفي الانكليزية كلمة dark بمعنى مظلم فنترجمها
غالباً بكلمة اسود توسماً . وقد صنعنا نحن هذا
المزيج الآن ووضعنا منه نقطة على قطعة من
الرخام فلما جفت بقيت منها بقعة رمادية
داكنة ترى عن بعد سوداء

(٨) الكتابة على الرخام

ومنه . هل من طريقة للكتابة على الرخام
بمادة يصبغ بها صبغاً اسود محل الكتابة
ج اذا احمي الرخام جيداً حتى نتسع
مسامه وكتب عليه بمذوب نيترات الفضة
(حجر جهنم) ظهرت الكتابة عليه بعد حين
سوداء رمادية او بنفسجية ولا سبيل غير
هذا الى الكتابة السوداء الثابتة ولذلك يكتب

على القبر بالرصاص ينزل في حفر الحروف
تنزيلاً

(٩) ارخميدس والتاج

مصر . احد المشتركين . اجبت في شهر
دسمبر عن سؤال يتعلق بارخميدس ان هيرو
كلفه بفحص تاج لمعرفة ما اذا كان مصوغاً
من الذهب الخالص او مخلوطاً بالفضة وان
ارخميدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس
في المغطس رأى الماء قد خرج منه فارشده
ذلك الى حل المسألة . والمشهور ان هذه
الحادثة هدت ارخميدس الى معرفة قانونه
المشهور الذي مؤداه ان كل جسم غمر في
الماء يفقد من وزنه مقدار وزن الماء الذي
ازاغه فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخميدس
الى حل مسألة التاج

ج لا بد من ان الصائغ جعل وزن
التاج كوزن الذهب الذي اعطاه اياه الملك
وقد كان ارخميدس يعلم كما يعلم كل احد ان
الذهب اثقل من الفضة اي ان
المكعبة من الذهب اثقل من المكعبة
من الفضة واثقل ايضاً من المكعبة
من مزيج من الذهب والفضة . ولو كان التاج
جسماً منتظماً تسهل مساحته المكعبة لتمكن
الاستدلال من ثقله ومساحته على ما فيه
من الذهب والفضة ولكنه غير منتظم فلا
تعمل مساحته بالتحقيق فلما غطس ارخميدس في
المغطس وارتفع الماء منه انتبه الى ان الماء الذي

خرج من المغطس يعادل حجم الجسم الذي
غطس فيه فسهلت عليه معرفة حجم التاج
فصارت المسألة هكذا ان وزن التاج الف
غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع
الماء في الاناء ٥٢ سنتيمتراً مكعباً اذا غطس
فيه ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء
٧٧ سنتيمتراً مكعباً ولكنه رفعه مقداراً
متوسطاً ولنفرض انه ٦٥ سنتيمتراً فليس هو
ذهب خالص ولا فضة خالصة بل مزيج منها
وبالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي
وزن من الفضة اذا مزجاً يكون ثقلها الف
غرام وجمعهما ٦٥ سنتيمتراً مكعباً

(١٠) ماء الشع والاساسات

ومنه . هل ماء الشع مضر باساسات
البيوت في القطر المصري

ج ما دامت الاساسات مغمورة بالتراب
وغير مكشوفة للهواء فلا ضرر من ماء الشع
ولكن ما يكون مكشوفاً منها ومن البناء الذي
فوقها بتأكل اذا كان في الارض املاح
يذيبها الماء . ويتقى الضرر بغسل الارض
من الاملاح او بالفصل بينها وبين البناء
بمادة تمنع وصول الاملاح الذائبة الى البناء
(١١) بو ابطل التدخين

ومنه . اذا اُبطل شرب الدخان
والاشربة الروحية فماذا يعمل تجار هذين
الصنفين وهم ثلث التجار كلهم على ما اظن .
أو ليس اباحة بيع الدخان والاشربة الروحية

قادرة على اشراك كل ابنائها في التعليم العالي على السواء وجب عليها ان تفعل ذلك كما يجب على المرء ان يساوي بين اولاده في الميراث ولكن الامّة لا تقدر على ذلك فيترتب عليها والحالة هذه ان تعلم ابناءها حسب استعدادهم وقابليتهم حتى لا تنفق على البلبد نفقات تذهب سدّى ولا تقصر في الاتفاق على النجيب وهي لو انفقت عليه لافادت بلادها به ولذلك يكون من الحكمة ان تنفق اولاً على التعليم الابتدائي الصرف الذي لا بدّ منه اي تعليم القراءة والكتابة والقليل من الحساب وتشارك فيه ابناءها كلهم اذا استطاعت وما بقي لديها من مال التعليم تنفقه على الذين نتوهم فيهم النجابة اكثر من غيرهم وتعلمهم علوماً عالية فاعلى حسب طاقتها وحاجة بلادها . وتما يريج البال ان المجتهدين يتعلمون ويفتحون سوائه ساعدتهم الحكومة او لم تساعدهم وغير المجتهدين لا يتعلمون او لا يستفيدون من التعلم ولو انفقت على تعليمهم مال فارون . ولقد رأينا اناساً لم يدخلوا مدرسة عالية وهم من ابرع الناس واناساً غيرهم اتموا دروسهم في اعلى المدارس العالية وهم لا يعرفون ان يحلوا مسألة بالحساب البسيط . ومدرسة العلم الحقيقي هي مدرسة العمل . وعلى الحكومة ان تبذل جهدها لكي لا تنفق اموال الامّة عبثاً

افضل من ترك هؤلاء التجار بلا باب للتميش ج . كلاً وابواب التمشيش كثيرة ولا بعدم المجتهد سبيلاً للعيشة . ومنع بيع التبغ والاشربة الروحية ليس في الامكان ولكن الذي في الامكان هو تقليل ربح بائعيها حتى يقل اهتمامهم ببيعها وطريقة ذلك ان يبيع الحكومة لكل احد ان يبيع التبغ والاشربة الروحية على شرط ان يسك لذلك حساباً مدققاً يعطيها اكثر ما يريجه ولا يبقى لنفسه الا عشرة في المئة بالنسبة الى رأس ماله فاذا رأى بائعو التبغ والخمر ان ربحهم قليل جداً لم يعودوا يهتمون بتزغيب الناس فيهما (١٢) تعليم الفقراء

ومنه . ان تعليم اولاد الفقراء من صنّاع ومزارعين يجعلهم يتركون حرف آبائهم واجدادهم وذلك غير حسن ولكن هل يستحسن منع التعليم عنهم مع اننا نرى كثيرين من هؤلاء الابناء ينبغون في العلوم والمعارف ويدركون اعلى المناصب اذا احسنت تربيتهم واعني بتعليمهم . ويقول البعض بتعليم اولاد القرى بعض العلوم الزراعية والصناعية فقط حتى يشتغلوا في المستقبل بحرفة والديهم فهل يصح التمييز بين ابناء الوطن الواحد بان يعلم بعضهم على كيفية بسيطة ويعلم البعض الآخر على طريقة راقية

ج . ان مسألة تعليم اولاد الامّة من المشاكل التي يصعب حلها فاذا كانت الامّة

بالاحياء العلمية

فائدة تلغراف مركوفي

اتفق في السادس والعشرين من يناير الماضي ان صدمت الباخرة فلوريدا الايطالية الباخرة ريبلك من شركة النجم الابيض وكادت تشطرها شطرين وكان في الريبلك آلة تلغراف مركوفي في غرفة فيها وقد خربت تلك الغرفة من الصدمة لكن الآلة بقيت سليمة وعليها رجل اسمه بنس وكان حينئذ يرسل رسالة برقية الى مدينة نيويورك فقطع الرسالة بغتة وارسل بدلاً منها الحروف الثلاثة C. Q. D. ومعناها الوقوع في الخطر وطلب النجدة. وانتشرت امواج الاثير في الفضاء حول السفينة فشعرت آلات مركوفي بها في كثير من السفن البخارية ومراكز التلغراف الاثيري. ثم ارسل رسالة مفصلة قال فيها ان الريبلك صدمت واشرفت على الفرق. فبادرت السفن اليها من كل صوب ووصلتها السفينة بلطيق قبل غيرها واحتملت وسقها وركابها وركاب السفينة فلوريدا وعددهم ١٤٠٠ ونجيتهم من الفرق والفضل في ذلك لمركوفي بل لرجال العلم الذين

اكتشفوا نواميس الكهرباء واستخدموها في ما ينفع الناس. اما السفينة ريبلك ففرقت بعد خروج الركاب منها ولم يقتل بهذا الاصطدام الا رجلان من ركابها واربعة من الذين كانوا في السفينة فلوريدا

زلزلة مسينا

وصفنا هذه الزلزلة وصفاً مسهباً في اول هذا الجزء وانقضي شهر يناير ولا تزال الهزات تنتاب تلك البلاد ولكنها خفيفة. ولا يزال النقب جارياً في مسينا ورجيو عن المدفونين تحت الردم وقد وجد البعض منهم احياء ونشرت الصحف اخباراً كثيرة عما قاساه الذين نجوا من المشاق قبلما فازوا بالنجاة وتبرع اهل البر والاحسان باموال طائلة لمساعدة الاحياء واشتركت الحكومات كلها في ذلك حتى الحكومة الصينية

اكبر فوز للتلغراف

من حين استعمل التلغراف الكهربائي الى الآن لم يبلغ الفوز الذي بلغه في اواخر الشهر الماضي فقد ارسلت به الرسالة البرقية

اولاد النوايغ

ظهر بالاستقراء ان اولاد كبار العقول يكونون من كبار العقول ايضاً ولو كانت هذه القاعدة غير مطردة . وقد بحث المسيو الفونس ده كندول منذ سنة ١٩٧٣ عن اصل الذين ينتخبون اعضاء في الجمعيات العلمية فوجد ان اكثرهم من اولاد القسوس . وبين العالم فرنسيس غلتون ان اكثر النوايغ هم من اولاد النوايغ واكثر المشهورين بالعقل والدراية هم اولاد المشهورين بالعقل والدراية ولذلك فالصفات العقلية تنتقل بالوراثة كالصفات البدنية

وفيات الاطفال وزيادة السكان

ان متوسط وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة في الممالك الاوربية يبلغ اكثره في روسيا واقله في انكلترا وهو فيها وفي سائر الممالك كما ترى في هذا الجدول

| | |
|-----------|--------------|
| في روسيا | ٢٦٨ في الالف |
| " النمسا | ٢٢٣ " " |
| " رومانيا | ٢١٨ " " |
| " المجر | ٢١٥ " " |
| " المانيا | ١٩٩ " " |
| " اسبانيا | ١٧٨ " " |
| " فرنسا | ١٤٩ " " |
| " انكلترا | ١٤٧ " " |

الاولى بين منشستر وكلكتا رأساً والمسافة بينهما ٧١٠٠ ميل وكان فيها ٣٠٠ كلمة فارست في سبع دقائق ونصف دقيقة ثم ارسلت رسالة برفية بين رنجون في افاصي الهند ومنشستر والمسافة بينهما ٧٧٠٠ ميل وقد افتتحتها مرسلها بقوله "سلام على الغربيين من الشرقيين"

بناء مسينا

لما نظر مجلس النواب الايطالي في امر مسينا اقر على ان تنفق الحكومة عليها وعلى رجبو ثلاثين مليوناً من الفرنكات وقال رئيس النظارة "لابد من بناء المدينتين ثانية". والظاهر انه اذا كان البناء من الحديد والخرسانة قاوم فعل الزلازل اشد المقاومة وسيكون للحديد المقام الاول في مباني المستقبل

الحملى المalarية في بلاد اليونان

تألفت لجنة في بلاد اليونان لمقاومة الحملى المalarية باتلاف البعوض ومنع تولده في المستنقعات . وقد كان المصابون بالمalaria في سهل مراثون سنة ١٩٠٦ تسعين في المئة من المرضى فبلغوا سنة ١٩٠٧ سبعة واربعين في المئة وسنة ١٩٠٨ اثنين في المئة لا غير . وهذا من اقطع الادلة على ان الحملى المalarية مسببة عن لسع البعوض الذي يحمل جراثيمها ويلقح بها الاصحاء

عيد وط مخترع آلة البخار

احنفل اهالي غلاسكو بعيد ميلاد
جس وط مخترع الآلة البخارية وبينام في
الاحنفل جاءهم تلفراف من طوكيو عاصمة
اليابان من امير البحر كروبي يقول فيه " ان
مستعملي الآلات البخارية في بلاد اليابان
رغبوا الي في ان اقدم تهنئاتنا القلبية الى
اخواننا في الصناعة في غلاسكو . نعم ان
رداء وط تناوله الجميع بغير استثناء لكننا
نقدم احترامنا الاول للذين تناولوه اولاً
ونفعوا به "

كلام الموتى

ادعى الرئيس جون جراهام في مجلة هبرت
العلمية الفلسفية ان نفس ميرس (وكان من
الباحثين في العلوم النفسية) تكلمت بعد موته
وقالت انها احيا الآن بما كانت قبل الموت
ولا تود الرجوع الى هذه الارض ولكنها
لا تزال تتذكر علاقاتها بها ولا تزال ايضاً
بعيدة عن العزة الالهية وانه يمر على النفس
نحو ست سنوات بعد خروجها من الجسد
وهي في حالة الخمول فاقدة كل وجدان ثم
تبتعد عن الارض ومشاغلا ولا يعود لها
علاقة بها ولعل نفس ميرس بقيت قرب
الارض عمداً لكي تعلن ذلك للناس
نقول انه ان كانت النفوس تبقى نحو

ولكن زيادة السكان السنوية ليست
تابعة لقلة وفيات الاطفال بل لكثرة المواليد
فانها كانت في العشر السنوات من سنة ١٨٩٦
الى سنة ١٩٠٥ كما في هذا الجدول

| | | |
|-----------|------|----------|
| في روسيا | ١٥,١ | في الالف |
| " المانيا | ١٤,٦ | " " |
| " رومانيا | ١٣,٣ | " " |
| " انكلترا | ١١,٩ | " " |
| " النمسا | ١١,٥ | " " |
| " لمجر | ١١,٢ | " " |
| " اسبانيا | ٧,٣ | " " |
| " فرنسا | ١,٥ | " " |

هذا متوسط زيادة السكان السنوية
قبل سنة ١٩٠٥ ولوقلت وفيات الاطفال
ل زاد عدد السكان ايضاً

كنوز الصين العلمية

وجد الدكتور ستين رئيس الوفد الذي
اوفدته حكومة الهند الى اواسط اسيا كمفأ
كبيراً على حدود الصين فيه اكثر من اربعة
آلاف كتاب من كتب الصينيين تاريخ
كتابتها من القرن الاول للميلاد الى القرن
العاشر وهي بسبع لغات مختلفة والظاهر ان
اصحابها خافوا عليها من غارات الامم المتوحشة
التي كانت تغير على بلادهم فاختفوها في ذلك
الكهف وسدوا باباً سداً محكمًا حتى لا يدري
بها احد وقد وجدت فيه سليمة

ست سنوات على مقربة من الناس ففي الارض الآن نحو اربع مئة مليون نفس تجول فيها ولم يقدم على التكلم الا نفس واحدة منها . ان تصديق ذلك اعجب من تصديق اي امر آخر سواء

ضرر الشركات المالية

لا شبهة في ان اكثر الاعمال الكبيرة ان لم نقل كلها عملتها الشركات المالية ولا جدال في فائدة الشركات ولكن لا شبهة ايضا في ان كثيرا من الشركات لا ينفع بل يضر بتبذير اموال المشتركين فيه فقد حققت ادارة تسجيل الشركات في بلاد الانكليز انها سجلت ١٠١٠١٥ شركة في اربع واربعين سنة بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٩٠٦ رأس مالها كلها ٦٧٨١ مليون جنيه ولم يبق الى الآن من هذه الشركات سوى ٤٠٩٩٥ شركة رأس مالها كلها ٢٠٠٣ ملايين جنيه ففي هذه السنوات الاربع والاربعين انحل أكثر من ستين الف شركة رأس مالها ٤٧٧٨ مليون جنيه وجانب كبير من هذه الاموال ضاع جزافا وخسرته المشتركون

ساعة وفونوغراف

صنع رجل من جنيف ساعة صغيرة فيها فونوغراف يعلن عدد الساعات بكلام يسمع على بعد عشرين قدما

ضعف العقل وكثرة النسل قال السركلي فرد البوت انه رأى بالاخبار ان ضعاف العقول يكونون كثيري النسل وقد قال بذلك غيره من الباحثين في هذا الموضوع واثبتوه بالاستقراء الطويل فقد وجد ان متوسط عدد الاولاد في مئة وخمسين عائلة من ضعاف العقول ٧ وثلاثة اعشار ومتوسط عدد الاولاد في عيال سليم العقل في ذلك المكان عينة اربعة فقط . ويموت كثيرون من اولاد ضعاف العقول ولكن الذين يعيشون منهم اكثر كثيرا من الذين يعيشون من اولاد كبار العقول . ثم ان اولاد المعتوهين وضعاف العقول يكونون اميل من غيرهم الى الجنون وارتكاب الجرائم هذا في البلاد الانكليزية ولا نعلم هل ذلك مضطرد في كل البلدان او هو خاص بتلك البلاد

ثوران بركان

ثار بركان كاغوى في جزيرة من جزائر فيليبين بغتة في التاسع عشر من شهر يناير وجرت المواد المصهورة على جوانبيه كالانهر فاضرت بالبلاد المجاورة

بنوك التوفير

تقدر المبالغ المجموعة في بنوك التوفير الانكليزية باربع مئة مليون جنيه وفي بنوك التوفير الالمانية بستائة مليون جنيه

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

| | |
|---|-----|
| زلزلة مسينا (مصورة) | ١٠٥ |
| ثمار الدستور | ١٠٩ |
| مقدمة الطبعة الثانية . للدكتور شمبل | ١١٣ |
| الاجتماع . للدكتور امين ابو خاطر | ١١٩ |
| شعر الشريف الرضي . لخليل افندي يعقوب الخوري | ١٢٨ |
| السرطان | ١٣٤ |
| افتتاح الجامعة المصرية | ١٣٨ |
| مستقبل البلاد العثمانية . لمرتلو سعيد بك شقير | ١٤٦ |
| معجم الحيوان (مصورة) . للدكتور امين المعلوف | ١٥٦ |
| الامانة من النجاح | ١٦٢ |
| دولة آل عثمان | ١٦٥ |

| | |
|---|-----|
| باب المراسلة والمناظرة * مقدمة الطبعة الثانية من شرح بخنر على دارون . اشكال وابضاح | ١٧٠ |
| غرائب الاحلام | |
| باب الزراعة * زراعة التبغ (الدخان) . تقليم الاشجار . غرس الاشجار . موسم القطن | ١٧٩ |
| اصل القطن العففي . الزراعة المصرية منذ مئة عام . تجز الصادرات الزراعية | |
| باب تدير الممتزل * طحن القمح . الخبز في الطعام وضرره . السكر ومضاره | ١٨٧ |
| باب التفريظ والانتقاد * كتاب مشهد العيان . كتاب ثمار القلوب . رحلة الحبشة | ١٩٠ |
| تاريخ الحضارة | |
| باب المسائل * اصابة العين وتأثير الوحام . الطيران وجاذبية الارض . عمل المربا | ١٩٨ |
| العلوم والمعيشة . ماء النشع والاسامات . لو ابطال التدخين . تعليم الفقراء . صيغ الرخام | |
| الكتابة على الرخام . ارخميدس والتاج | |
| باب الاخبار العلمية * وفيو ١٥ نبقة | ٢٠٤ |